



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

توظيف التراث الديني لدى شعر شعراء وادي سوف المعاصرين

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

أ.د/ عبد الكريم شبرو

إعداد الطالبات:

✓ عفاف ضو

✓ سهام الأسود

✓ الوازنة ضو

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/2022-2023م

شكر وعرّفان

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على صفوة خلقه وأنبيائه، وعلى آله وأصحابه

وبعد:

يطيب لنا وقد منّ الله علينا بإكمال هذه المذكرة أن نردّ الجميل لأهله، وننسب الفضل لأصحابه، فالشكر لله أولاً وأخراً على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة على ما يسّر لنا من إنجاز هذه المذكرة، فله الحمد والثناء بما هو أهله.

وانطلاقاً من قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم - "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" (رواه أحمد والترمذي) نتقدم بجزيل الشكر والتقدير وبأصدق العبارات وأوفاهها لدكتور الفاضل "شبرو عبد الكريم" المشرف على هذه المذكرة، على ما أولانا به من اهتمام، ونصح، وإرشاد، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى مكتبة دار الثقافة على إفادتها لنا بالكتب والدواوين الشعرية.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بكل الشكر الامتتان لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث ولو بدعاء، وأخيراً نسأل الله العظيم أن نكون قد وفقنا في هذه الرسالة، فما من توفيق فمن الله، وما من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان.

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} سورة هود (الآية 88)

عفاف سهام الوزنة

إهداء

إلى الوالدين الكريمين، نهدي هذا البحث ثمرة من ثمار غرسهما وتشجيعهما.

إلى أفراد عائلتنا الكريمة كلٌّ باسمه.

إلى كلِّ من مدَّ لنا يد العون والمساعدة في إخراج هذا البحث.

إلى كلِّ من أفادنا ووجهنا ولو بالكلمة الطيبة.

عفاف سهام الوازنة.

ملخص الدراسة :

للتراث أهمية بالغة في أدبنا العربي الحديث والمعاصر، إذ يعدّ منبعًا من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الرجوع إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي، وفق رؤية إنسانية معاصرة، وهذا يعني أنه الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر

ولهذا جعلنا هذه المذكرة بعنوان: توظيف التراث لدى شعر شعراء وادي سوف المعاصرين، والتي حاولنا من خلاله الكشف عن مدى حضور التراث الديني في الشعر السوفي المعاصر، وذلك من خلال استنطاق مجموعة من النماذج الشعرية لعدة شعراء جزائريين سوفييين معاصرين ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها:

• لقد كان التراث الديني مصدرًا سخيًا من مصادر الثقافة والقيم الإنسانية والإلهام الشعري، قد استمرّ من الشعراء السوفييين المعاصرين نماذج وموضوعات وصور أدبية فالمتن التي محورها عبادات إسلامية مقدسة أو أذكار دينية.

• لقد أصبح الشاعر السوفي المعاصر يفسح المجال في قصائده لتوظيف التراث الديني الذي يتجاوب معه والتي مرت ذات يوم بنفس التجربة والمعاناة التي عاشها هو.

- استخدم شعراؤنا المعاصرون الشخصيات التراثية الدينية في شعرهم ليستطيعوا أن يغيروا الظروف التي كانوا يحيونها، إلى جانب ما يحققه هذا الاستخدام من غنى فني، بواسطة استدعائهم لشخصيات تراثية دينية ومعطياتها..

Study summary:

Heritage is of great importance in our modern and contemporary Arabic literature, as it is a source of poetic inspiration, which reflects the poet through reference to the spirit of the era, and rebuilds the past, according to a contemporary human vision, and this means that the past lives in the present, and is associated with it in a dialectical relationship that depends on Influence and influence

That is why we made this note entitled: Employing Heritage in the Poetry of Contemporary Wadi Souf Poets, through which we tried to reveal the extent of the presence of religious heritage in contemporary Sufi poetry, by interrogating a group of poetic models of several contemporary Algerian Sufi poets.

Among the most important results we reached:

- Religious heritage was a generous source of culture, human values, and poetic inspiration. Contemporary Soviet poets continued as models, themes, and literary images, and the texts centered on sacred Islamic worship or religious remembrances.
- The contemporary Soviet poet has made room in his poems to employ the religious heritage that responds to him, and that one day passed through the same experience and suffering that he lived through.

Our contemporary poets used the religious heritage figures in their poetry in order to be able to change the circumstances in which they lived, in addition to the artistic richness achieved by this use, by calling them to religious heritage figures and their data ..

مقدمة

مقدمة

للتراث أهمية بالغة في أدبنا العربي الحديث والمعاصر، إذ يعدّ منبعاً من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الرجوع إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي، وفق رؤية إنسانية معاصرة، وهذا يعني أنه الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر.

ولعلّ علاقة الشاعر بالتراث وقضاياها ورموزه واحدة من أبرز القضايا، التي ما برح النقاد يناقشونها، محاولين الكشف ضمن سياق عام، ويحضر فيه التراث بوصفه أحد أهم مصادر الشاعر المعرفية والفنية والجمالية.

والشاعر السوفي المعاصر واحد من أولئك الشعراء الذين قرأوا التراث، واستنطقوا نصوصه، فكان التراث الديني أحد أهم المصادر التي استقى منها مادته الشعرية حتى أصبح توظيف النص الديني المقدس من أنجح الوسائل الفنية لبسط المواقف وتشكيل الرؤى، وذلك لخاصيته المتفردة والتميّزة والتي تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وذلك فقد كان له الفضل في إثراء التجربة الشعرية المعاصرة بالرموز الدينية المختلفة والمتنوعة.

وقد ارتأينا أن تكون هذه المذكرة بعنوان: توظيف التراث في شعر شعراء وادي سوف المعاصرين، والتي حاولنا من خلاله الكشف عن مدى حضور التراث الديني في الشعر السوفي المعاصر، وذلك من خلال استنطاق مجموعة من النماذج الشعرية لعدة شعراء جزائريين سوفييين معاصرين.

- فما مفهوم التراث الديني وما هي تجلياته في الشعر الجزائري المعاصر عامة وفي الشعر السوفي على وجه الخصوص؟

هذا بالإضافة إلى أسباب عدة دفعتنا لاختيار هذا الموضوع أهمها:

-كثرة حضور التراث في المتن الشعري لدى شعراء وادي سوف المعاصرين وتنوع المصادر المستعملة في توظيف واستدعاء الشخصيات التراثية.

-قلّة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الجانب في شعر شعراء وادي سوف المعاصرين.

-مكانة الشعر الجزائري المعاصر الأدبية والنقدية على الساحة العربية.

- حب الغوص في أساليب الحداثة الشعرية خصوصا بعد عودة الشعراء المعاصرين إلى التراث.

-تميز الشعراء الجزائريين السوفيين المعاصرين في توظيف الشخصيات التراثية الدينية واعتمادها كأحد الأسس في بناء قصائدهم على غرار الشعراء العرب المعاصرين.

وبعد دراسة أهم الدواوين الشعرية لبعض الشعراء المعاصرين وإلقاء نظرة سريعة عليها تبين لنا أن البحث سيعتمد المنهج السيميائي، من خلال تحليل النصوص الشعرية. بالإضافة إلى استعانتنا بالمنهج التاريخي فهو الأنسب لاحتضان ووصف وقراءة بنية النص المعاصر. كما استثمرنا عدد من الأدوات الإجرائية كالوصف والتحليل، وذلك لتسهيل مهمة الدراسة وتحديد دقيق للعناصر المشكلة للخطاب الشعري والشخصيات التراثية ليتسنى لنا التعليق عليها. كما ارتأينا أن يكون البحث وفق الخطة التالية:

مقدمة:

الفصل الأول المعنون ب: التراث الديني وأثره في الشعر العربي المعاصر، حيث أوجزنا فيه تعريف التراث لغة واصطلاحاً، ثم بينا موقف الشاعر العربي المعاصر من التراث وعلاقته به وعوامل عودة الشاعر لتراث، ثم تطرقنا فيه إلى توظيف التراث الديني في الشعر العربي المعاصر.

والفصل الثاني تحت عنوان: توظيف التراث الديني في شعر شعراء وادي سوف المعاصرين.

وخاتمة: احتوت على أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد استعنا بمجموعة من المصادر والمراجع كان من أبرزها ورودا كتاب: استدعاء الشخصيات التراثية لعلي عشري زايد، التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر لجمال مبارك، أشكال التناص الشعري لأحمد مجاهد، أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة لطاهر أحمد طالبي، يوميات قلب لسعد مردف.

كما استرشدنا بأطروحات الدكتوراه: بنية النص في الشعر الجزائري المعاصر (الأخضر فلوس، مشري بن خليفة، حكيم ميلود)، واستدعاء الشخصيات التراثية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر (1980_1990).

قد واجهتنا جملة من الصعاب منها كثرة الدواوين الشعرية وعدم القدرة على التنسيق بينهما، وقلة الدراسات والأكاديمية التي تعيننا على استتارة الطرق.

وبحمد الله وتوفيقه وبمناقشة واستتارة مع الاستاذ الدكتور شبرو عبد الكريم وجزاه الله عنا خير، تم اتمام هذا البحث على صورته الحالية، فله تحية خاصة ملؤها الحب والتقدير.

الفصل الأول

التراث الديني وأثره في الشعر العربي

المعاصر

الفصل الأول: التراث الديني وأثره في الشعر العربي المعاصر

المبحث الأول: التراث وأثره في الشعر العربي المعاصر

المطلب الأول: تعريف التراث

أ- لغة:

التراث كما ورد في المعاجم العربية القديمة والحديثة "هو الورث والإرث والميراث وأصل التاء في التراث «الواء»"،¹ كما أنّ البحث عن كلمة تراث يحلينا في البحث في مادة ورث أو إرث أورد في معجم التهذيب.

عن ابن الأعرابي قال: الورث والورث والإرث والاراث والوراث والتراث واحد. قال أبو زيد وَرَثَ فلان أباه، فهو يرثه، وراثه وميراثا أو أورث الرجل ولده مالا إرثًا حسنًا...² ويتضح من خلال ما ذكرنا في مادة وَرَثَ أَنَّهَا تحمل عدّة مشتقات ترتكز معانيها حول ما تركه جيلنا الأول للأجيال المتوارثة، فقد وظّف القرآن الكريم التراث بالمعنى العام في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾³

فمنطق الطير هو جزء من العلم والقدرة التي وهبها الله لسيدنا سليمان وأنّ من المشتقات الإرث، الورث الميراث، فالورث والميراث خاصان بالمال، وأمّا الإرث فخاص بالحسب.⁴

¹الجر، خليل، المعجم العربي الحديث «لاروس»، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1988م، ص1280.

²الأزهري، أبو محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: إبراهيم الأبياري، ج 15، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1967م، مادة: ورث، ص177.

³سورة النمل: الآية 16.

⁴ابن منظور، لسان العرب، مجلد 2، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط2، 1992، ص200.

ولقد جاءت كلمة الوارث في القرآن الكريم تحمل صفة من صفات الله عز وجل: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾¹.

كما جاءت كلمة الميراث في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾² وتفيد أنه يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال غيره³.

فالتراث لغة: الميراث والميراث يشمل الميراث المالي وميراث الشرف والحسب⁴.

وفي كتاب الله عز وجل: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾⁵ فالميراث هنا هو ميراث النبوة والوحي والعلم والفضيلة، إذ أن المال لا وزن له عند الأنبياء ولا يلتفتون اليه فليس مراد في الآية الكريمة بل المراد الميراث المعنوي لا المادي.... وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ورد الميراث في هذه الآية بمعنى الوحي والكتب السماوية⁶.

وقد جاءت كلمة التراث في كتاب الله عز وجل في موضع واحد، قوله تعالى:

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾⁷.

والمقصود بقوله أكلا لماً، كما يقول الزمخشري: هو الجمع بين الحلال والحرام، أي أنهم كانوا يجمعون بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم⁸.

ووفقاً لما جاء في القرآن الكريم والمعاجم العربية فإن كلمة تراث في المصطلح الأقل تداولاً، وندر استعماله مقارنة بمشتقاتها السالف ذكرها.

¹سورة الأنبياء: الآية 89.

²سورة آل عمران: الآية 180، وسورة الحديد: الآية 10.

³محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج2، المطبعة البهية، القاهرة، مصر، د ط، 1925، ص435.

⁴المصدر السابق، ص435.

⁵سورة مريم: الآية 6.

⁶سورة فاطر: الآية 32.

⁷سورة الفجر: الآيات 19-20.

⁸محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ص534.

ب- اصطلاحًا:

التراث هو كلّ أمر قديم تركه الأول للآخر، أو هو "مجموع ما خلفه السابقون للاحقين من أبناء الأمة"¹

إذن التراث هو كلّ ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أم ماضي غيرنا قريبًا كان أو بعيدًا، فليس التراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد وحسب بل هو أيضًا ما ينتمي إلى الماضي القريب، وأنّ الماضي القريب متصل بالحاضر والحاضر مجاله ضيق، فهو نقطة اتصال الماضي بالمستقبل.²

والتراث هو حضارة الأمة ومدنيتها، فليس كالثقافة والفكر والأدب شيئاً تعزّز به الأمة، ويرثه الأبناء عن الآباء، وتعتبره مقومًا من مقومات حضارتها.

إنّ التراث هو أجل مكسب وأعظم موروث وأكبر ربح يحصل عليه الخلف عن السلف... ونحن أمّة محمد - صل الله عليه وسلم - وأمة العرب قد ورثنا عن آبائنا أعظم ثقافة، وأجل تراث وأكبر مجد وأنفع ميراث وورثنا الدين واللغة والتراث من علم وثقافة ومعرفة وأدب وفن وكنوز وحضارة وورثنا عن آبائنا وأجدادنا رسالة التوحيد والإيمان، وشريعة السماء والإسلام وخاتم الأديان والكتب السماوية المنزّلة، ورثنا وحي السماء من كتاب وسنة وما أجله ميراثًا، وما أكرمه وأخلده وأعظمه تراثًا.³

ويُعرّف **جبور عبد النور** التراث بأنه: ما تراكم خلاله الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني

¹مدحت الجبار، الشاعر والتراث (دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث)، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، مصر، الاسكندرية، (د.ط)، (د، ت)، ص 110.

²محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، (دراسات ومناقشات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص45.

³محمد عبد المنعم خفاجي، من تراثنا الخالد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص8 و9.

السياسي التاريخي والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملا على تكوين هذا التراث وإغنائه.¹

من خلال هذا التعريف يتّضح لنا أنّ مفهوم التراث هو خلاصة ما خلّقه الأجيال السالفة للأجيال الحالية في مختلف الميادين، وما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون، ونحوها من جيل إلى آخر.

والتراث العربي كغيره من التراث أثرا وتأثر بحضارات غيره من الأمم والشعوب قديماً وحديثاً وزاد في إخصابه تصور صلات التأثير والترجمة والتبادل المباشر بين تلك الحضارات وبين الحضارة العربية.

وعلى رغم من صعوبة التمييز بين ما هو تراث عربي خالص وبين ما يمكن أن نسميه التراث الإنساني العام، مثل تراث الحضارات المتواجدة في أقطار الوطن العربي منذ القديم فإنّ هذا لا يطغى في القول بأنّ التراث هو جماع التاريخ المادي والمعنوي لأمة من أقدم العصور إلى الآن² أو أنّ تراث الأمة العربية الإسلامية لا يقف عند بداية التاريخ الإسلامي الذي جمعنا فيه، وإنّما يمتدّ مع ماضيها إلّا ما قبل ذلك موغلاً في أعماق الزمن، فماضي كلّ الشعوب التي أسلمت وتعربت هو ماضي هذه الأمة وكلّ الحضارات المادية والفكرية التي ازدهرت في أرض وطننا هي في الواقع التاريخي ميراثنا جميعاً.³

¹ جبور عبد المنعم، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

² سعيد سلام، التناسل التراثي الرواية الجزائرية نموذجاً، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2001م، ص15. (بتصرف)

³ عائشة عبد الرحمان، تراثنا بين الماضي والحاضر معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1968م، ص21.

وتراث الأمة هو حضارتها وتاريخها وشخصيتها المتميزة بين الأمم، وهو المنجم الحضاري الذي تستمدّ منه الأمة أصول بقائها وتطورها وازدهارها الفكري بل والمادي أيضًا...¹

ويُعتبر التراث خزانًا للأفكار والرؤى والتصورات نأخذ منه الأمة ما يفيدها في حاضرها أو ما هو قابل لأنّ يعين عن الحركة والتقدم.² فلقد تباينت وجهات النظر حول تحديد مفهوم التراث وتعددت دلالاته وتشعبت، فهو تارة الماضي وتارة العقيدة الدينية نفسها، وتارة الإسلام برمته، وتارة التاريخ أبعاده وجوهه ويُعبّر التراث عن هوية الأمة.

بل هو خيرًا معبر عنها، لأنه جزء منها وهكذا كلّ تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته فلا يمكن أن تؤسس أي أمة نهضتها على تراث آخر غير تراثها لأنّ التراث يختزن إمكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة، وهو زادها التاريخ ولا تحقق المنعطفات الكبرى والنهضات في حياة الأمم من دون زادها التاريخ، فالنهضة يحتضنها تراث الأمة ويغنيها، وتصبح فيما بعد أحد مكتسبات الأمة وحركتها الأدبية والتاريخية، مثل ما كان التراث ذاته من أبرز هذه المكتسبات وبعد أن يزحف التاريخ إلى الأمام ويستوعب منجزات النهضة في زمان لاحق، فتندمج هذه المنجزات بالتراث وتحدد معه في مركب حضاري واحد فيظم التراث عندئذ تمام التجليات والإبداعات والمكتسبات المتنوعة لأمة في أزمنتها الماضية، فالتراث ليس أمرًا ساكنًا ميثًا أفرزته هزائم الأمة وانكساراتها التاريخية وإنّما تلك الحيوية والفعالية المتدفقة في وجدان الأمة.³

¹ محمد عبد المنعم خفاجي، من تراثنا الخالد، ص 21.

² محمد عابد الجباري، التراث والحدثة، ص 39.

³ عبد الجبار القحطاني، جدل التراث والعصر، دار الفكر المعاصر، سوريا، لبنان، (د.ط.)، 2001م، ص 18-19.

(بتصرف)

المطلب الثاني: موقف الشاعر المعاصر من التراث

تتضح من معالم الثورة في موقف الشاعر من التراث ومن ثم الحداثة. بأكثر ما تتضح في موقفه من الزمن أو من المدنية وإن كان المفهوم المطلق للحداثة يفترض أن ترتبط المواقف الثلاثة معًا متكاملة وقد كانت الثورة التي قام بها الشاعر المعاصر على الشعري أولاً الأمر. خطوة تمهيدية لم تغير كثيراً في طبيعة الشع، وإن غيرت بعض موضوعاته ومجالاته، ووسعت من حدوده لتقبل تيارات معاصرة مختلفة فلما أخذ الشاعر يتساءل على مدى ارتباطه بالتراث ومن ثم بالماضي بالتاريخ. أصبح على أبواب ثورة جديدة تشكك في مدى أهمية ما حققته الثورة على الشكل، ونظراً لأهمية هذا الموقف وحساسيته البالغة لا بد من أن يعالج في هدوء وأناة وإن الذين يدعون إلى الثورة على التراث يدركون مدى حضور الماضي في الحضارة الحديثة، في صورة معالم أثرية كبرى ومدونات كتابية ومناهج جامعية لدراسة تاريخ كل شيء تاريخ الفلسفة، تاريخ العلوم الأدب.... وغير ذلك من صور تجعل الماضي حياً في الحاضر¹ وأن شعراء التجربة المعاصرة لم ينسلخوا عن التراث العربي الإسلامي بل تفهموه وأحسوه وهذا ما جعلهم حين استلهموه كانوا في الوقت نفسه يبرزون ما ينطوي عليه من قيم إنسانية صالحة للبقاء. وكل ما في الأمر أنهم وجوداً كذلك في التراث الإنساني العام مادة شعرية أو صالحة للدخول في السياق الشعري فاستغلوها، وهم لم يتحروا في اختيار هذه المادة مصدراً واحداً، كان يكون اغريقياً، فرعونياً أو مسيحياً، فلم يكن المصدر نفسه ذا أهمية خاصة من منظورهم، وإنما كانت الأهمية بطبيعة المادة التي يقعون عليها، لقد تعاملوا مع هذا التراث بنفس المنهج الذي² تعاملوا به مع التراث العربي و استغلوا فيه المادة الأسطورية و الرموز والشخصيات المواقف ذات الأبعاد الإنسانية، الغنية بالدلالة

¹إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط2، 2001م، ص109. (بتصرف)

²ينظر: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط5، 1994م، ص35-36. (بتصرف)

المعاصر

والمغزى ولما كان الشعر المعاصر يتكئ كثيرا على الرمز والأسطورة وينهج في بنائه المعنوي منهجا في كثير من الأحيان كان طبيعيا أن يستغل الشاعر كل مادة من التراث الإنساني لها طبيعة الرمز والأسطورة وغير مغرق في هذا بين تراث عربي وغير عربي ، وشعرنا المعاصر الشعر المعاصر قد أخذ تمثيل حلقة من سلسلة تراث الإنساني خلال هذا الترابط المعنوي بين رؤية الشاعر المعاصر وكل التراث.¹

وإن الماضي يعلم العبرية الحاضرة، يضيف أن ما يجعل الناس معاصرين، لسبب لبسهم الأزياء نفسها، بل احساسهم بالشعور نفسه وتغذيتهم الآمال نفسها وشعورهم بالحنين نفسه ومذاقهم الرغبات نفسها كما يستطيع القارئ المنتبح لتطور شعرنا المعاصر ملاحظة رغبة بعض التكتلات الأدبية في حصر المفهوم في إطار صورها لشعر، ونفي صفة الحدائث عن سواها من الممارسات، وهو ما يتناقض كلياً مع روح الفكرة التي تستمد أولاً وقبل كل شيء إلى الانفتاح على الآخر ومحاورته وتقدير جهوده.²

أمّا في الموقف الشعري فإن الشعراء يتفاوتون بشدة فهناك من يؤمن بالتراث ويعتزون به وهناك من يتوقون الى التغيير الحضاري ومن هؤلاء الشعراء محمود درويش وأنسي الحاج، عبد المجيد المناصرة وأدونيس الذي يقول: «على أن أعترف أنني كنت أضمر إعجاباً لا أعرف كيف أفسره بشعر بدوي الجبل».³

وعمر أبو ريشة، والجواهري حيث كنت أتساءل: كيف يستطيع هؤلاء أن يؤكدوا حضورهم الشعري ذائقتي، فيما فهم يستعيدون النسق التأليفي القديم الذي أهرب منهم؟⁴ وأيضاً إلى جانب النص القرآني: لقيت متسعاً في الإبداع وتجلت في:

¹ ينظر: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية)، ص36.

² عباس بن يحيى، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص172.

³ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص114. (بتصرف)

⁴ أدونيس، زمن الشعر، دار الباقي، بيروت، لبنان، ط6، 2005م، ص52.

يأتي غداً فينا!

ويكمل في مسيرة شعبتا المقهور دينه

يأتي غدا فينا!

ويجعلنا له جندا وحاشية

ويجعل من منازلنا حصونه

يأتي غدا!

ويجف دمعهم ويبتسمون في الحلم الجميل!

حتى يدور العام دورته

فتدعوهم إليك تمد مائدة

وتفرط فوقهم ثمر الفصول

وتسل سيفك في وجوه عدوهم

وتعود منتصرا تحيط بك المدائن والحقول

زدنا! وتعطيهم، وتطعمهم وتسقيهم،

إلى يملأ الفرع السفينة

يتحقق الحلم الجميل لليلة يتزودون بها

وينحدرون في الليل الطويل

ينتظرون على مداخل دورهم أن يلحقهم مهاجرا،

وتمسح عنهم تعب الرحيل

لكن بدر الليل لم يشرق علينا من ثنيات ا لوداع¹

وقوله في قصيدة شناشيل ابنة الجبلي لأسباب عدة قوله:²

¹ أحمد عبد المعطي حجازي، الأعمال الكاملة، الدار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1982م، ص

² بدر شاكر السياب، ابنة الجبلي، دار الطليعة بيروت، لبنان، ط1، 1964م، ص55.

وتحت النخلة حيث تضل تمطر كل ما سعة
 تراقصت الفقاع وهي تفجر، إنه الرطب
 تساقط في يد العذراء وهي تهز في لهفة
 بجذع النخلة الفرعاء تاج وليدك الأنوار الذهب
 سيصلب منه حب الآخرين سيبرئ الأعمى
 ويبعث في قرار القبر ميتا هذه التعب
 من السفر الطويل إلى ظلام الموت يكسو عظمه اللحم
 ويوقد قلبه الثلجي فهو بحبه يثب.

المطلب الثالث: علاقة الشاعر العربي المعاصر بالتراث

يعدّ توظيف التراث سمة بارزة في الشعر العربي كما أنّ استدعائه ضمن السياق الشعري عند الشعراء يشير إشارة جليّة إلى عمق قراءتهم وقدرتهم على استغلال عناصره ومعطياته التي من شأنها أن تمنح القصيدة فضاءً شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات والدلالات.

"ولقد أحسّ شعراءنا منذ بداية عصر النهضة بأنّ شعرنا العربي لا يستطيع أن يثبت وجوده ويحقق أصالته إلا إذا وقف على أرض صلبة وهذا من خلال صلته بتراثه وارتباطه بماضيه"¹

وقراءة الشاعر للتراث قراءة منهجية وموضوعية واعية موجهة وتفاعلية تكون كفيلاً بربطه بماضيه المشرق دون أن تحبسه في قوالب هذا الماضي، وعندها تتحقق الصلة بيننا وبين التراث على أساس أنّه مخطوطات حقيقته وأقر ما فيها، وفي هذا الحال يكون تعاملنا مع التراث الذي يزال حياً يرزق حتى يومنا هذا، فهو موجود في العقل والذات العربية". ومن ثم فإنّ الشاعر حيث يتوسل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعرية عبر

¹ علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية (في الشعر العربي المعاصر)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، 1997م، ص45.

جسور من معطيات هذا التراث فإنه يتوسل إلى ذلك بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفوذ¹

وعلى هذا الرغم من أن موته المادي قد تحقق وانتهى تماما مثل الأدب الراهن الذي سيتحول إلى تراث، وبواسطته يستقي من يأتي بعدنا من أمم أخرى عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا والتعامل مع التراث كمكتوب يدفعنا إلى تجسيده عن طريق اختيار المبدع للأشكال التراثية القريبة إلى روحه من أمثال الحكاية، الأغنية، الأسطورة، الملاحم، السير، الأشعار، والأمثال وإلى جانب هذه الأشكال يوجد التراث الديني، عن طريق ما تضمنه من وقائع وأحداث يمكن توظيفها.²

فإن تصور الشاعر لجمهوره هو الذي يحدد مدى تراثيته أو مدى تجاوزه للتراث، وبين هؤلاء الشعراء من يؤمن أن الشعر فعالية إنسانية لا بد من أن تؤدي دورها في إيقاظ المجتمع، وفي هذا الصدد تصبح مخاطبة المجتمع وصلا لهذا الشعر بالتراث حتى يستطيع ذلك المجتمع التراثي في نزعه قادراً على تذوقه والتأثر به.³

وأن طبيعة العلاقة بين الشاعر والموروث تتضح لنا في مرحلتين:

المرحلة الأولى: ثمة ثلاثة أشكال شعرية شاعت في هذه المرحلة استمدت موضوعاتها من شخصيات التراث هذه الأشكال الثلاثة هي: المطولة، والمنظومة التاريخية، والمسيحية الشعرية.

فالمطولة: هي قصيدة طويلة كانت تتناول حياة شخصية من شخصيات التراث بالسرد ونظم أحداثها.

أما المنظومة الشعرية: فكانت أكثر طولاً من المطولة وكانت تحكي نظماً.

¹ علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 2008م، ص121.

² سعيد سلام، التناص التراثي، ص24. (بتصرف)

³ إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص117

أمّا المسرحية الشعرية: فهي شكل أدبي يرجع إلى أحمد شوقي بفضل إرساء دعائمه في أدبنا العربي الحديث.¹

ولعلّ أشهر المطوّلات التي كتبت في هذه المرحلة هي تلك كتبها حافظ إبراهيم في ديوانه عن (عمر بن خطاب).

أمّا المنظومة التاريخية فلدينا منظومة أحمد شوقي (دول العرب وعظماء الإسلام)، وتحمل ملامح من السيرة النبوية الشريفة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. كلّ ذلك في أسلوب سردي تقييري.²

أمّا المسرحية الشعرية فإنّ لأحمد شوقي عددًا من المسرحيات الشعرية التي استمدّت موضوعاتها وأبطالها من تراثنا البعيد القريب مثل مسرحية عنتره التي كان محورها الشخصية العربية المعروفة عنتره بن شداد الفارس والشاعر الجاهلي الأسود، أن المرحلة الأولى أعطت لنا صورة توضيحية عن طبيعة علاقة الشاعر المعاصر بالتراث، واتّسمت بأنها مرحلة فنية أكثر منها مرحلة تاريخية، فإنّ آثار المرحلة الأولى مازالت ممتدة في هذه.

المرحلة الثانية: فتأخّرت بدايتها عن بداية المرحلة الأولى حوالي نصف قرن أو أقل وهي مدة قياسية بينما بدأت إحياء التراث الإغريقي واللاتيني القديم منذ بداية عصر النهضة حيث عادت الأساطير اليونانية والرومانية القديمة إلى الحياة من جديد.³

فأصبح الشاعر في هذه المرحلة قد تناول شخصيته التراثية بحيث أصبح يُعبّر بها بدل أن يُعبّر عنها، وتغيّرت طبيعة علاقة الشاعر بالتراث من أساس ، وفهمه لعملية إحياء التراث، وأصبح شاعرنا في هذه المرحلة يعي وعيًا تامًا أنّه يمارس مع موروثه نوعًا جديدًا من العلاقة مختلف في طبيعته وغايته وكثير من بواعثه عن ذلك اللون من العلاقة الذي كان

¹ محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1977م، ص 150.

2

³ ينظر: على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص (50...57).

يربط الشاعر بموروثه منذ بداية عصر النهضة أو في مرحلة التعبير عن الموروث، فرجوع الشاعر إلى التراث يرتد إليه لينطلق منه من جديد في رحلة جديدة، فحرص الشاعر في المرحلة الثانية على أن تأخذ هذه الوجوه في شعره ملامح جديدة.

وهذا الفهم الجديد في طبيعة العلاقة بين الشاعر والموروث اختلف أسلوب تناول الشخصية التراثية في شعره إذ لم يعد همّة الأول أن ينقل إلينا نقلاً فوتوغرافياً ملامح هذه الشخصية كما هي في مصادرها التراثية وإنما أصبح معناها بتعبير هذه الشخصية؛ بمعنى أن يجعلها شخصية تراثية معاصرة، وأن يختار من بين ملامح الشخصية التي يتناولها ما يتناسب مع تجربته المعاصرة.¹

- إن علاقة الشاعر المعاصر بهذا التراث هي علاقة استيعاب وتفهم وإدراك وإع للمعنى الإنساني والتاريخي للتراث، واستخراج الشاعر للمواقف التي لها صفة الديمومة في هذا التراث، سواء كانت هذه الصفة ملازمة للموقف القديم أم مضافة من قبل الشاعر وفي كلا الحالتين نلاحظ أنّ الموقف يكتسب هذه الصفة من ارتباطه بأخذ بعدين: البعد الإنساني والبعد التاريخي (أو الزمني) أو بهما معاً.²

المطلب الرابع: عوامل عودة الشاعر العربي المعاصر إلى التراث

إنّ رجوع الشاعر المعاصر إلى التراث له دوافع سببت في عودته واحتضانه لماضيّه، وتوظيف التراث في قصائده، فقد تضافرت جملة من العوامل ساهمت في حضور الشخصيات التراثية في شعرنا المعاصر وهذه العوامل مرتبطة ومتأثرة ببعضها البعض وهي تفسّر ارتداد الشاعر المعاصر إلى موروثه وتوطيد علاقته به.³

ومن بين هذه العوامل: العوامل الفنية إذ تركز في عاملين:

¹ ينظر: المصدر السابق، ص (58...60).

² عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 27.

³ علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص 15. (بتصرف)

الأول: إحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية وبالمعطيات والنماذج التي تستطيع أن تمنح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها فيما لو وصلت أسبابها لها، ولقد أدرك الشاعر المعاصر أنه باستغلاله هذه الإمكانيات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء والتأثير، والشاعر حين يتوسل إلى الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه ببعض مقومات تراثها يكون قد توسل إليه بأقوى الوسائل تأثير عليه.¹

وهكذا تكتسب تجربة الشاعر المعاصر بتوظيف الشخصيات التراثية غنى وأصالة. شمولاً في الوقت ذاته، وتكتسب أصالة وعراقة باكتسابها هذا البعد الحضاري التاريخي، والنماذج التراثية التي يُعبر بها الشاعر من خلالها "تمكن الشاعر من الخروج عن نطاق ذاتيته المغلقة إلى تجربة الإنسان في هذا العصر وفي كل عصر".

الثاني: يتمثل في نزعة الشاعر المعاصر إلى إضفاء نوع من الموضوعية والدرامية على عاطفته الغنائية، فقد ظلّ شعرنا العربي ردحاً طويلاً من الزمن يعاني من طغيان الجانب العاطفي² الذاتي عليه، حيث كانت القصيدة العربية دائماً تعبيراً غنائياً عن عاطفة ذاته، ولقد أصبحت تجربة الشاعر في العصر الحديث أكثر تشابكاً وتعقيداً من تلك التجربة الذاتية البسيطة التي تتسع لها القصيدة الغنائية وتستوعبها، فحاول شاعرنا المعاصر أن يضيف على الشكل الفني لتجربته لوناً من الدرامية والموضوعية، وقد تأثر الشعراء العرب المعاصرون. من بين ما تأثروا به من جوانب تجربة إليوت الشعرية والنقدية. المتمثلة في "المعادل الموضوعي"³.

¹ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص 307.

² ينظر: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص (17...20).

³ المصدر السابق، ص (20-21).

كما يشرح لنا ما يقصده بهذا المصطلح على النحو التالي: "إنَّ الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فني أن تكون بإيجاد معادل موضعي لها، وبعبارة أخرى مجموعة من الموضوعات أو موقف أو سلسلة من الأحداث تشكل وعاء لهذه العاطفة الخاصة، بحيث تنفجر هذه العاطفة في الحال عندما تقدم الأحداث الخارجية موضوعة في تجربة حسية"¹.

و العوامل القوميّة: عندما تتعرض أمة من الأمم لخطر يهدد كيائها القومي فحتما تتشبث بجذورها القوميّة، وتحافظ على بقائها، ويُعتبر التراث من أقوى هذه الجذور الذي تتأثر به الأمة وهو يُعطينا إحساس بأصالتها وعراقتها والتمسك بها، ونجد التراث قد ارتبط بالمفهوم القومي وخاصة في الفترة الأخيرة من حياة الأمة العربية، ومن ثم كان ظهور قضية التراث في هذه الفترة مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالقوميّة، ولكن قضية التراث فهي لم تظهر في الآونة الأخيرة، وإنما هي قد صحبت حركة النهضة الحديثة من بواكيرها، فقد شهد النصف الثاني من القرن 19 حركة له إحياء للتراث العربي بعد أن كان الحكم² العثماني، وما أعقبه من تطوّرات قد انحدر بالمتقف العربي إلى حالة ركود امتدت أجيالاً فباعدت بين الناس وثروتهم الفكرية والأدبية القديمة، ومع الوعي الجديد بالذات وحركات التحرر كان لابد من أرض صلبة تمنح الذات صلابة واطمئنان، فليس من السهل أن يتحرر الإنسان من الأرض وهو تحت قدميه، فبمعنى لنقل أن الذات لا تحرر إلا مع كامل الشعور بذاتها وإلا كان لها رصيد كاف من الوجود تعتر به، ومن ثم برزت ضرورة إحياء التراث العربي في ضمائر الناس، وتمثل هذا الإحياء في شخصية محمود سامي البارودي وفي شعره، وأنها كانت حركة متعاطفة كلّ التعاطف مع التراث، ومدرسة البارودي قد فجرت طاقة روحية أو فكرية في التراث الشعري العربي، وقد أعادت النبض لهذا التراث في نفوس الناس، ومن ثم فإنّ ارتباطها بالتراث كان ارتباطاً سطحيّاً أو شكليّاً، فهو حصيلة مواقف إنسانية لها أبعادها

¹ محمد الربيعي، في نقد الشعر، دار المعارف، مصر، ط1، 1968م، ص132. 133.

² عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص22.

الروحية والفكرية خلف العبارة وخلف الفن وإنما قد اقتصرتها مهمتها على استحياء هذا التراث وإعادته إلى قارئ العصر.¹

ورغم محاولة الاستعمار للقضاء على الهوية العربية وأصالتها، فحاولت الأمة جاهدة أن تثبت وتؤكد شخصيتها من خلال مواجهتها للاستعمار، وفي جو هذا الصراع حاول الشعراء أن يجسدوا عزيمة هذه الأمة عن طريق تذكيرها بأمجادها القديمة والعريقة، وبالمنادج المشرقة الباهرة في تاريخها العظيم.²

والمرحلة الأولى: ارتبطت بالتحدي الذي تعرضت له الأمة العربية في أواخر القرن الماضي، وإنما المرحلة الثانية بدأت بكارثة قومية أخرى، طعنت الإحساس القومي العربي في الصميم، وهي سيطرة العصابات الصهيونية بدعم وتأييد من القوة الاستعمارية الكبرى.³ وفي نهاية النصف الثاني من هذا القرن عاد شعراؤنا إلى تراثهم بفلسفة جديدة وبإدراك جديد لطبيعة علاقة الشاعر بمورثه وينهلون من موارده الغنيّة في محاولة منهم لتأكيد ذاتهم القوميّة.

انطلاقاً من هذا التصوّر فيمكن أدرك لماذا شاعت ظاهرة استخدام الشخصيات التراثية بعد هزيمة 1967 المنكرة بشكل لم يُعرف من قبل في تاريخ شعرنا، فقد أحسّ الشاعر المعاصر أنّ هذه الهزيمة قد عصفت به كيانه القومي أكثر منها عصفت به نكبة 1948 ذاتها، ومن ثم ازداد تشبته بجذوره القوميّة، يحاول أن يتكئ عليها علّها تمنحه بعض التماسك أمام تلك الهزّة العنيفة التي تعرّض لها كيانه القومي.⁴

بقي أن نقول أنّ الدافع الذاتي القومي يكمن دائماً وراء كل حركة للارتباط بالتراث مهما كانت طبيعة هذه الحركة وغايتها ولاشكّ أن الأدباء هم أكثر الناس استجابة لهذا الدافع لأنهم

¹ عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص (21-22).

² عائشة عبد الرحمن، تراثنا بين ماضي وحاضر، ص 57.

³ عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي والقديم والمعاصر، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1970م، ص 165.

⁴ عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي والقديم والمعاصر، ص 165.

أكثر الناس إحساس به. بحكم أنهم هم ضمير الأمة ووجدانها. وهم مطالبون أكثر من غيرهم بتوثيق ملتهم بالجذور القومية لأمتهم ممثلة في تراثها بشتا مصادره حتى يستطيعوا أن يلمسوا روح هذه الأمة الممتد والمستمر من الماضي إلى المستقبل عبر الحاضر، وهم بدون أن يلمسوا هذا الروح ويحسوه لا يستطيعون أن يعبروا عن وجدانها المعاصر إذا "أن الأديب المعاصر الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه، وتراث أمته لا يصلح بحال ما أن يُعبّر عن وجدانها المعاصر لأن فقدان وعيه لشخصياتها يجعله أجنبياً عنها، غريب عليها".¹

وأما العوامل النفسية: كان الشاعر المعاصر كثيرا ما يحسّ بالغرابة والتعقيد والجفاف في العالم الحديث، والبُعد عن عفوية الحياة الأولى أو البسيطة، فجعله يحنّ دائماً إلى العودة لتلك العصور الأسطورية الأولى حيث الأحاسيس لا تزال بكرا لم تبتذل بعد بالزيف والتعقيد، حيث اللغة لا تزال بكرا لم تفقد قدراتها الخارقة على التصوير² والتأثير يتمنى الشاعر المعاصر أن تكون لكلماته تلك الطاقات الأسطورية التي كانت تمتلكها كلمات الشاعر البدائي حيث لم تبلغ القوة التصويرية للغة الشعر ما بلغت في تلك العهود، ولم يبلغ سلطانها على النفوس ما بلغ لتلك العصور وكان هذا الحنين الجارف للعودة إلى تلك العصور سبب من أسباب ارتداد الشاعر المعاصر إلى التراث، وبخاصة التراث الأسطوري، لينشدوا فيه ذلك العالم الغني البكر الذي يفقدونه في واقعهم ، وليضعوا من معطياته على المستوى الفني عالم شبه به وهذا الحنين إلى سذاجة الأحلام الأولى يزداد قوة كلما ازدادت الحياة المعاصرة تعقيداً ومادية وزيف.³

أما عن العوامل السياسية و الاجتماعية: فهي عوامل خانقة مرت بها الأمة العربية، فهي سبب من أسباب اتجاه الشعراء المعاصرين إلى استخدام الشخصيات التراثية في

¹ علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص (41-42).

² محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار مطابع الشعب، مصر، ط3، 1964م، ص371.

³ علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص43.

شعرهم، وأن يتخذوها أقنعة ليختبئوا وراءها بسبب الظلم والاستبداد من الواقع المعيش ليبعد عن التصريح والمباشر، ومن نماذج هذا اللون "أقوال جديدة عن حرب البسوس" لأمل دنقل ومن خشية السلطة الحاكمة وهذا ما دفع الشاعر إلى التواري خلف القناع التراثي¹ وللظروف الاجتماعية التي يعيشها المرء تأثير كبير في سلوكه، ظروف يغلب عليها الطابع المادي في كل شيء، وتضيق الخناق كثيراً في وجه العلاقات الإنسانية، مما أدى إلى الشعور بالاعتراب والقهر كل هذا يخلق نوعاً من الحنين إلى الماضي ناتجة عن الشعور بالاعتراب. ومن الشعراء من استدعى شخصيات بعض الحكام منها شخصية معاوية بن أبي سفيان الذي اتخذها الشاعر أمل دنقل قناعاً لتتوير الشعب وتحريضه ضد الاستبداد.²

فالشاعر حينما يعمد إلى استحضار الشخصية المتنبّي أو المعري أو الخيام، فهو لا يهتم كثيراً بمعانيه الشخصية التاريخية بقدر اهتمامه بالشعور بها ويقدر أن تصبح الشخصية صوتاً من خلال البعد التاريخي ولذا يعمد الشاعر إلى تأكيد الصمود والهزيمة بعد تناوله لما يمكن أن يعكس أزمة. الصراع بين الفرد والجماعة خلال البعد التاريخي ولجئوا إلى التراث وشخصياته باحثين عن حلول لهذا الواقع.³

ويلخص محي الدين صبحي هذه الأسباب السياسية والاجتماعية من خلال لجوء البياتي إلى المفكرين. من الماضي والحاضر. إذا راح يفكر في الحياة من خلال المفكرين، الأدباء، السفراء، الفلاسفة، والفنانين، الذين أغنوا الحياة بهجسهم وشكهم واحتجاجهم، وحافظوا على بذور الحضارة والتطور وشقوا للروح الإنسانية آفاق من التطور والانطلاق تتيح لها التجدد والابداع.⁴

¹ ينظر: قميحة جابر، على التراث الإنساني في سفر أمل دنقل، دار هجر لطباعة، القاهرة، ط1، 1978م، ص31-32.

² أرنيش فيشر، ضرورة الفن، تر: ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط.)، (د.ت.)، ص201.

³ الورقي السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماته الفنية وطاقته الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1984م، ص249.

⁴ محي الدين صبحي، الرؤية في شعر البياتي، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط.)، 1986م، ص167. (بتصرف)

من خلال ما سلف ذكره من العوامل المؤثرة في عودة الشاعر المعاصر إلى التراث والتي هي بمثابة العودة إلى الجذور الأولى أو ينباع، وإلى مهد الطفولة البشرية، مما يشعر بنوع من الحنين إلى عصور الفطرة والبراءة، وربما يوّلّد ذلك في نفسه شعورًا مشابهًا لتلك الفطرة والبراءة.

وتزوده بالتراث الإنساني من أجل فهم المشكلات الإنسانية والحضارية والمعاصرة ضروري بغية التواصل وربط الماضي بالحاضر.¹

لقد كانت عودة الشاعر العربي المعاصر للتراث عودة فنية، لا تقوم على أساس المتابعة والتقليد، ولا تدعوا إلى المقاطعة والإهمال، وإنما تستلهم ذلك التراث في نتاجات أدبية متميّزة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، أو تمدّ أواصر الماضي والحاضر وتواجهها نحو المستقبل.

¹ ينظر: عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دراسة الناشر واتحاد كتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 1992م، ص403. (بتصرف)

المبحث الثاني: توظيف التراث الديني في الشعر العربي المعاصر

يُعدّ الموروث الديني من أهم المصادر التي استلهم منها الشاعر شخصيات تراثية عدة، عبر من خلالها عن أبعاد خاصة، وتعدّ الأديان السماوية الثلاث (المسيحية، الإسلام، اليهودية) مصدرًا من المصادر التي نهل منها الشعراء رموزهم التراثية.

كما نرى أنّ الشعراء المعاصرين أدركوا أنّ التراث الديني مصدرًا غنيًا وهامًا يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه، حيث يعدّ الموروث الديني مصدرًا أساسيًا من المصادر التي عكف عليها شعراؤنا المعاصرون واستمدوا منها شخصيات تراثية عبروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة.

ويمكننا أن نصف الشخصيات التي استمدها شعراؤنا المعاصرون من الموروث الديني في

ثلاث مجموعات رئيسية:

أولاً: شخصية الأنبياء.

ثانياً: شخصيات مقدسة.

ثالثاً: شخصيات منبوذة.

المطلب الأول: شخصيات الأنبياء

وهي أكثر شخصيات التراث الديني شيوعاً في شعرنا المعاصر، فقد أحس الشعراء منذ القديم بأنّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم الشعرية وتجربة الأنبياء، فكل من نبي والشاعر الأصل المخلص لوطنه وأمته، يحمل رسالة مقدسة، والفارق بينهما أنّ رسالة النبي رسالة سماوية، فكل منهم يتحمل العذاب في سبيل رسالته. ويتضح هذا خاصة أثناء فترة استعمار الشعوب العربية، والولايات والمضايقات التي كان يتلقاها الشعراء.

وأكثر شخصيات الرسل شيوعاً في شعرنا المعاصر، شخصية محمد صل الله عليه وسلم، عيسى، موسى وأيوب، عليهم الصلاة والسلام.

فمثلاً قصيدة البردة للبوصيري في مدح سيّد الخلق محمد، عليه الصلاة والسلام، والتي ألهمت الكثيرين من الشعراء والأدباء والعوام على مرّ العصور، ومن أشهر من نهج على نهجها أمير الشعراء أحمد شوقي، كذلك من شعرائنا في الجزائر نجد الشاعر أحمد سحنون الذي نهج على ما سار عليه أمير الشعراء، حيث يقول:

يا أمة توجتها السما ببعثة خير الورى أحمدا
بمولده فاحتقوا إنّه غدا لهدايتنا مولدا
فعودوا له إن تريد والنجاح وأن لا تضيع المساعي سدى¹

كذلك نجد الشاعر مصطفى الغماري الذي أولى أهمية لمولد خير البرية حيث يقول:

غنى ربيع الهوى القدسي وابتسما²

يا مولد.. كان في دنيا الورى علما

وتاهت الأرض من وجد..جدائلها

فرحى.. تعانق ميلاد الهوى شما

هذه نماذج لأبيات من قصائد تتناول مولد خير البرية محمد صل الله عليه وسلم، وهي ذات معاني صياحة تصعق القارئ وتذهله ذهولاً حسياً وتقنم عليه يقينه، فهي تحتفل بولادة النبي، والكائنات تضحك والزمان يبتسم والعرش يزهو والوحي يتفطر واسم النبي محمد صل الله عليه وسلم، هامة بين أسماء الأنبياء الآخرين.

المطلب الثاني: الشخصيات المقدسة

الشخصيات المقدسة عديدة ومتعددة، من أهم هذه الشخصيات التي وظفها الشعراء شخصية مريم - عليها السلام - وشخصية لعازر الذي أحياه المسيح بعد موته وقد كان لعازر رمزاً للبعث والحياة بعد الموت في الشعر المعاصر، وإلى جوار هذه الشخصيات

¹ أحمد سحنون، الديوان، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، ص221 وما بعدها.

² مصطفى محمد الغماري، قصائد مهاجرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص29.

البشرية، شخصيات الملائكة، والتي شاعت في شعرنا المعاصر شخصية جبريل وعزرائيل عليهم السلام، فحبريل هو رمز لهمز. الوصل التي تصل الإنسان بالسماء وأما عزرائيل فهو رمز لقوى الفناء والموت التي تسحق الإنسان وتهدد أمنه وتقلق مضجعه.

ففي قصيدة "ثعلب الموت" للسياب يُعبّر بها الشاعر عن القوة الباغية التي تسحق شعبه وتفرض عليه الدمار والهلاك، يقول:

ثعلب الموت فارس الموتِ عزرائيل يدنو ويشحذ

النصل... آه منه آه يصك، أسنانه الجوعى ويرنو مهدداً... يا إلهي¹

إنّ الموت الذي يفتك بالشعوب الضعيفة المقهورة أصبح همًا لا يطاق فقد صور عزرائيل في هيئة الفارس الذي يتفنن في الفتك بأعدائه.

فالشاعر يصور لنا شخصية ملك الموت كأنه جزار سينقض على فريسته حيث وصفه بالثعلب المفترس الجائع يهدد فريسته بأبشع أنواع التنكيل أثناء التهامها، كما وصفه وهو يقوم بشحذ نصله ليكون حادًا في القضاء عليها.

أمّا في قصيدة (حفار القبور) فإنّ الشاعر يقدم لعزرائيل صورة غريبة حيث يصور حفار القبور ساخطاً لأنّ عزرائيل لا يزور قريته، ومن ثمّ فلا أحد يموت، وكأنما عزرائيل نفسه مات، وهو ناقد على هذه الغربان التي تتعب بدون أن يحدث ما يستوجب هذا النعيب، فالكون لا يزال يغص بالأحياء رغم أنهم يبدون في صورة الأموات.

وعلام تتعبُ هذه الغربان والكون الرحيب²

باق يدور... يعج بالأحياء... مرضى جائعين

بيض الشعور كأعظم الأموات لكن خالدين

لا يهلكون؟ علام تتعبُ؟ إن عزرائيل مات

¹ بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، وزارة الأعلام العراقية، بغداد، العراق، ط 1971م، 1م، ص 447.

² المصدر السابق ط 1971م، 1م، ص 543.

فمن شدّ غضبه لعدم وجود قتلى يتساءل عن سبب هذا النعيب؟ ليصل إلى أن عزرائيل لم يعد يمارس مهامه الموكلة له فكأنه ميت.

المطلب الثالث: الشخصيات المنبوذة

وهي تلك الشخصيات التي ارتكبت خطيئة فحلت عليها اللعنة، ويمكن التمييز بين نوعين من هذه الشخصيات:

أ- النوع الأول: شخصيات حلت عليها اللعنة لتمرداها على إرادة الله عز وجل، وأهم من يمثل هذا الفريق الشيطان ويتلوه في الصف "قابيل" بن آدم أول قاتل على وجه الأرض متحدياً لإرادة أبيه وإرادة الله.

ب- أما النوع الثاني: فسبب لعنته السقوط وليس التمرد، وعلى رأس هذا الفريق يقف "يهودا" تلميذ المسيح الذي وشى به إلى الكهنة.

كما وظف نزار القباني في قصيدة " حوار ثوري مع طه حسين" شخصية الشيطان تلك الشخصية التي ارتكبت خطيئة فحلت عليها اللعنة الإلهية فيقول:

تاجرو افيك.... ساوموك.... استباحوك

وباعوك كاذبات الأمان

حبسوا الماء على شفاه اليتامى

وأراقوا في شفاه الغواني

تركوا السيف والحصان حزينين

وباعوا التاريخ للشيطان¹

أتضح هنا استخدام الشخصية المنبوذة "الشيطان" للدلالة على العدو الغاشم يبيع له التاريخ بنظراته، فترك العربي الجهاد وتخلّى عن أصالته التي مثلها نزار على التوالي في

¹نزار قباني، أشعار خارجة على القانون، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1972م، ص12.

المعاصر

السيف والحصان، ومن خلال ما سبق نرى مدى غنى وتنوع الشخصيات الدينية التي أمدّ بها نزار قصائده، واستطاعت أن تستوعب تجربته الشعرية الخاصة بشتّى أبعادها الفكرية، النفسية، السياسية والقومية.

كذلك نجد أنّ الشعراء الجزائريين وظفوا شخصية الشيطان - عليه لعنة الله - ضمن السياق الشعري، يقول عثمان لوصيف وهو بصدد استدعائه لهذه الشخصية:

أمّا عن الشيطان¹

تركته يهوي مع الأوثان

يهوي بلا قرار

ملطخًا بالعار

تركته طعين

ممرغًا في الطين

يصرخ يستغيث في القاع بلا معين

وبات فيه غارقًا وخالدًا في اللجنة اللعينة

وميتا يغوص في مستنقع العفونة

تبًا له من ماردٍ لعين

لقد وصف لنا النهاية المأساوية لهذا الشيطان في نار جهنم يوم القيامة وكيف يكون مصيره في قاعها يتعذب جراء اعتراضه على قدر الله وكيف يتمرغ في هذا الطين الذي صنع الله منه الإنسان وتكبر عليه الشيطان.

وهكذا نرى مدى ثراء المصدر الديني، ومدى غنى وتنوع ما استمدّه شعراؤنا المعاصرين منه من شخصيات استطاعت أن تستوعب تجربة الشاعر المعاصر.

ومن الشخصيات المنبوذة أيضًا شخصية قابيل، يقول الشاعر:

¹عثمان ل صيف، إرهافات، دار هومة للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 1997م، ص27.

رحت وكانت شهوتي مطية للجرح

والطريق

نهر من الحريق

واليل صحراء من الرماد

تضج بالغبان أوبجر من الحداد

والأفق شلال من الرصاص

طرزه قابيل بالمعاصي¹

فقابيل رمز للخطيئة والمعاصي المرتكبة من بني البشر التي شاعت في مجتمعاتنا المعاصرة وأصبحت حياتنا تعلوها الأحزان والدموع، ومن شدة آلامنا ومعاصينا أصبح النهر حريقاً يعبر المدينة ليحرق كل بيت يمرّ بجانبه.

لقد كان توظيف شخصية قابيل من قبل عثمان لوصيف ذكياً وهذا قصد إبراز معاناة الفرد في مجتمعاتنا العربية المعاصرة.

¹ عثمان لوصيف، إرهابات، ص 18.

الفصل الثاني

توظيف التراث الديني في شعر شعراء وادي سوف
المعاصرين

أولاً: التوظيف من القرآن الكريم.

ثانياً: توظيف الشخصيات والأماكن الدينية المقدسة.

ثالثاً: توظيف الأذكار الدينية.

رابعاً: توظيف الكتب السماوية المقدسة.

الفصل الثاني: توظيف التراث الديني في شعر شعراء وادي سوف المعاصرين

تمهيد:

التراث الديني مصطلح شامل يتّسع لكل ما له علاقة بالإسلام من نصوص القرآن والسنة النبوية واجتهادات العلماء السابقين في فهم هذه النصوص وتطبيقها على الواقع، وهو لا يقتصر بالضرورة على الإنتاج المعرفي في العلوم الشرعية وحدها كالتفسير والحديث والفقهاء ونحو ذلك، بل يتّسع ليشمل كلّ ما خلفه العلماء المسلمون عبر العصور من مؤلفات في مختلف فروع المعرفة وبشتّى اللغات وفي كلّ بقعة من بقاع الأرض بلغتها دعوة الإسلام.

ونجد شعرائنا المعاصرين في الجزائر عامة وفي منطقة وادي سوف خاصة وظفوا التراث الديني وقدموا له أهمية كبيرة وذلك يظهر لنا من خلال دواوينهم ومجموعاتهم الشعرية التي تكاد تفيض نوراً يقتدى به وهذا راجع إلى تمسك شعرائنا المعاصرين بالعقيدة الإسلامية والسير على نهج الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن بين شعراءنا المعاصرين في وادي سوف نجد: الطاهر أحمد طالبي، سعد مردف، يوسف بديدة، ميداني بن عمر، بوبكر مراد، بلول محجوب، وغيرهم...

أولاً: توظيف التراث الديني من القرآن الكريم

يعدّ توظيف التراث الديني اليوم أحد أهم الأدوات النقدية في الدراسات الأدبية إذ تكمن وظيفته في توضيح العملية التي يمكن من خلالها أن يقرأ كلّ نص باعتباره اندماجاً وتحويلاً لغيره من النصوص.

ونجد توظيف خاصة في السور القرآنية فقد لجأ الشعراء في توظيفها في أشعارهم باعتبار أنّ النص القرآني هو النص الوحيد الذي يحمل الأبعاد اللامحدودة للحياة وللإنسان. وظّف الشعراء المعاصرون لوادي سوف هذا الزاد القرآني في شعرهم ويرجع السبب في ذلك إلى

المرجعية الثقافية لشعرائنا الذين نهلوا من التراث الإسلامي الشيء الكبير وحفظوا القرآن قبل أن يتعلموا اللغة العربية وقواعدها ويظهر التوظيف من القرآن في السور والآيات القرآنية.

أ- التوظيف من سورة البقرة:

وجد الشاعر الطاهر أحمد طالبي في قصيدته نشيد الوجدانية قد وظّف من سورة البقرة

حيث يقول:

بإسْمِكَ الْعَظِيمِ بَدَأْتُ يَا اللَّهُ

بِقَوْلِكَ الْكَرِيمِ كَتَبْنَا اللَّهُ

هَدَى لِّلْمُتَّقِينَ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ

الْغَيْبِ مِنْ يَقِينٍ مَقِيمًا لِلصَّلَاةِ

وَرَزَقَكَ يَا اللَّهُ

أَمَّنْتَ بِالسَّوَابِقِ وَاللَّاحِقِ لِلَّهِ

قرآنا عظيم وشامل فحواه

كتابنا سليم من زيغ وأشباه¹

يتّضح لنا التوظيف في البيت الثالث حيث وظّف الشاعر الآية الكريمة التي نصّها في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ونلمس من خلال الأبيات أنّ لا شكّ للوجدانية البداية والنهاية لهذا الكون ففي البدء كان الله ولا شيء معه وفي النهاية كان الله كلّ

¹ طاهر أحمد طالبي، أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، دار أفريقيا لنشر والتوزيع طبع بمطبعة دركي الوادي، مارس

شيء في الوجود وأن الإيمان بالله يهدي المؤمن للفوز في الدارين بالهدايا والآخرة الفوز ونيل مرضاة الله تعالى.

ب- التوظيف من سورة الغاشية:

نلمسها في شعر أبو بكر مراد حيث يقول:

سواسية نحن سواسية! فهل أتاكم حديث الغاشية

يومئذ ستحدث المفارقة فلا تطول تفرع ولا مادب فاخرة¹

والمقصود بقول الشاعر أن الجميع سواسية أمام الله ولا فرق بين أبيض ولا أسود ولا غني

ولا فقير، ونجد من التوظيف الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

خَاشِعَةٌ²، التي تتضح لنا في عجز البيت الأول من الأبيات، الذي تناول أهوال يوم القيامة

والحساب أن لكل إنسان له جزاءه على عمله في حياته ودنياه.

ج- أسماء الله الحسنى:

الله: اسم الذات الواجب الوجود ويقول اللهم أي يا الله، وظفها الشاعر يوسف بديد في قصيدته

"بريء" بقوله في الأبيات الآتية:

وكان الله يحرسني

وكنت أغازل التلة³

ولقد كررها في قصيدته "شكرًا" في قوله:

أنا مذ عرفت الله في عليائه

كفرت حروفي بالبلاغ القاني

أنا مذ عبدت الله في محرابه

¹ أبو بكر مراد، أوراق الهزيمة، طبع بمطابع دار الشهاب، ص.ب رقم 61، المنطقة الصناعية في كشيدة باتنة.

² سورة الغاشية، الآية 1-2.

³ يوسف بديد، ما لذ وخاب، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2015، ص.06.

أغضيت دون بلاغتي وبياني¹

والمقصود بالأبيات أنّ للشاعر علاقة وطيدة بينه وبين الله وعين الله تحرسه في كلّ مكان
وزمان أنما حلّ وارتحل فهو في رعايته لأنه عرف الله وعبده حقّ عبادته.

- ولقد وظّف الشاعر الطاهر أحمد طالبي في قصيدة روعي وذاتي أسماء الله الحسنى
(الحكيم، الكريم، البصير،) وفي قوله في الأبيات التالية:

روحي وذاتي والوجود وما حوى

نفس يجود من الكريم إليه

فاسمع إليه والحكيم سماعه

فهو الجمال والجلال إليه²

ووظّف أيضًا أسماء الله الحسنى (السلام، الوحيد) في قصيدته "المتفرد بكماله" بقوله:

متفرد بسلامه

فهو السلام إذا بحثت

إليه

متفرد بكماله

بجماله

بعلومه

بسلامه

فهو الوحيد

¹ نفس المصدر السابق، ص13.

² الطاهر أحمد طالبي، أشرق نور الصباح، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2015، ص17-19.

ولا وحيد

سواه¹

والمقصود من الأبيات أنّ الله سبحانه وتعالى بجوده وكرمه على عباده ويحكم بينهم بالعدل وهو متفرد بكماله فهو وحده الأحد الصمد الذي لا شريك له.

ثانياً: توظيف الشخصيات والأماكن الدينية المقدسة

لقد أقبل شعراءنا المعاصرين في منطقة وادي سوف على التراث ولا سيما توظيف الشخصيات التراثية الدينية، واهتدى لها وأشكالها المختلفة، فمن بين شعراءنا نذكر: أبو بكر مراد - الطاهر أحمد طالبي - يوسف بديدة - سعد المردف - وغيرهم...، حيث وظّفوا شخصيّة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولقد ذكروا شخصيات الأنبياء والرسل من بينهم: يوسف عليه السلام - أيوب عليه السلام - عيسى عليه السلام - إبراهيم عليه السلام - موسى عليه السلام...، وكما نلمس في شعرهم توظيف العديد من الأماكن الدينية المقدّسة كالقدس ومكة المكرمة والمدينة المنورة...

1- الشخصيات المقدسة:

أ- شخصيّة الرسول صلى الله عليه وسلم: ولقد ذكرت في دواوين عدّة، حيث أنّ شعراءنا تغنّوا بها وبرزوا لها مكانة قيّمة وذلك راجع إلى الصفات والخصال الحميدة التي يتفرد بها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ونجد من بين الشعراء أبو بكر مراد حيث يقول في قصيدته "مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم":

هيا أدخلوا للمدرسة

أستاذها محمد فالكوكبه

فسيحة أرجاؤها

¹ نفس المصدر السابق، ص 27-28.

ليست تضيق أبدًا

مشرقة أنوارها

وريحها معطرة

تواردتها آياتها

من فوق سبع معجزة

تنزلت ندبة

في ليلة مقدره.¹

والتي جاءت ردًا على الأيادي الأثمة التي تعرضت برسومها المسيئة إلى النبي الكريم.

ونجد أيضًا الشاعر الطاهر أحمد طالي في قصيدته "ولد الهدى" التي يقول فيها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء والكون نور والحياة صفاء

بشرى البشير بأحمد ومحمد جبريل أنت مع الأمين عطاء

أما الرفيق بأحمد وبنوره سادت صحابة عترة كرماء

جبريل أحمد والنبي وصحبه عمر تفرس نجله العظماء²

نلتمس من خلال الأبيات أنّ الشاعر يحتفي بذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهي

ذكرى مزيد عمل لا مجرد ذكرى كلام لأنّ الكلام من غير عمل هو علم بشيء وحجة على

¹ أبو بكر مراد، أوراق لا تتحني، تحت الطبع سوف مونغرافيا، ترجمة، ص 07.

² الطاهر أحمد طالبي، نبضات لا شعورية واعية، الطبعة الأولى، أوت 1997، الوادي- الجزائر، ص 45.

صاحبه يوم القيامة وإذا اجتمع العلم والكلام والعمل فهو وعظ وإرشاد لمزيد العلم والعمل والله لا يعيد إلا بعلم ومدنية العلم هو الرسول ولا يعبد الله إلا بما جاء عن ربه، والأبيات نشيد فيها بفضل الرسول وخيره.

ب- الأنبياء والرسول:

(1) يوسف عليه السلام:

اصطحب الشاعر قصة يوسف عليه السلام فتجلى هذا في قصيدته المعنونة بـ "واها لمصر" فقال:

شرّ البلايا في مصر تلقاها *** تغالب تجعل الأساد أسراها

وكومة من خفافيش الظلام أتت *** كي تحجب الشمس كي تخفي مراياها

وألام الناس سادوا، والرجال رموا *** في جب يوسف، يأم الذنى واها¹

- استدعى شاعرنا في هذه القصيدة قصة يوسف عليه السلام مع إخوته عند رميه في الجب.

(2) موسى عليه السلام:

لقد وظّف الشاعر في قصيدته شخصيّة دينيّة موسى علسه السلام، إذ نجده يقول:

فويل مصر إذ فرعون عز بها *** وأغرق الموج موسى فهو أشقاها²

- فهنا نجد الشاعر يحاول في قصيدته أن يبرهن على ظلم السلطة الحاكمة للشعب المصري،

فلم يجد أكثر من صورة صادقة واقعيّة كقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، حيث نجده

يصف تسلّط وتجبر السلطة على شعبها بطغي فرعون على قوم موسى عليه السلام.

¹ سعد مردف، مآذن الشوق، طبع بمكتبة مزوار، الطبعة الأولى، 2017، ص 07.

² نفس المرجع السابق، ص 05.

(3) نوح عليه السلام:

وظفها الشاعر يوسف بديدة في ديوانه "ما لذ وخاب" في قصيدته "إلى سعاد" حيث

يقول:

ومضت سفينة نوحنا

ومضى يشيعها الجراد¹

نلمس من الأبيات أنها تناص مع قصّة سيدنا نوح عليه السلام وذلك من خلال ذكر الشاعر سفينة نوح عليه السلام فقد بينت الآية (40) في القرآن من سورة هود أنّها سفينة صنعها نوح بوحي الله وأمره فيها بأن يحمل في السفينة من كلّ نوع من أنواع الحيوانات زوجين، ويحمل فيها أهل بيته إلا من سبق عليهم القوم ممن لم يؤمن بالله كابنه وامرأته، ويحمل فيها من آمن معه من قومه، ليهلك جميع من تبقي من المفسدين من قومه الذين كذبوا رسالته بطوفان عظيم.

(4) سليمان عليه السلام:

ونلتمسها في شعر مصطفى محمد صوالح في قصيدته المدى وهم عاشق" التي يقول

فيها:

إيه يا هدهدي

بلقيس لم تقرأ ال...

لم تدخل القصر لن ...

¹ ما لذ وخاب، ص24.

لا سليمان

لا سعد

لا خالد

لا علي

ملك القول فيهم سجا¹

يتضح لنا في أبيات القصيدة توظيف قصة سليمان مع عرش بلقيس وطائر الهدد والنبي الله سليمان هو من أوائل الأنبياء الذين أرسلهم الله عز وجل الدعوى إلى دينه وعبادته وحده لا شريك له، فقد كان هناك ملكة تدعى بقيس كانت تعبد الشمس هي وقومها من دون الله وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون، ويجب على كل مسلم أن يتعلم من قصص الأنبياء وتاريخهم قصة نبي الله سليمان هي من أروع القصص المليئة بالأحداث الرائعة التي يوجد بها الكثير من العبر والعظات النافعة.

(5) أيوب عليه السلام:

ونجد أن للشاعر أبيات تناص مع قصة أيوب عليه السلام في قصيدته إلى الزهراء التي

يقول فيها:

يا رب عفوك إنّي مذنب جاني ضيعت نفسي وأتبعته الهوى الفاني

قد مسني الضر واستثرت بي الأحن وللضغائن شيطان لنا دانني²

¹ مصطفى محمد الصوالح، فوق كل اللغات، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2011، ص22.

² ديوان نبضات لا شعورية واعية، ص34.

ويتضح لنا من جملة "قد مسي الضر" اقتباس من قصة سيدنا أيوب عليه السلام عن الصبر وأنّ الشاعر يدعي الله بما أصابه من ضرر ومناجاته والإحساس بالذنب واتباع الهوى وانتظار الإجابة من الله عز وجل.

(6) داود عليه السلام:

يتّضح لنا أنّ الشاعر قد وظّف الكثير من الأنبياء والرسل في شعره فمثلاً شخصيّة داود عليه السلام في قصيدته "عيد العلم" التي يقول فيها:

صقل النفوس معارف وعلوما كصقال داود للحديد دواع

ونسيج نور في الورى متمسكا ونسيج خير في الورى أنواع

فهداة والضيوف شواهد وهداة سلم والضيوف سواع¹

- ونلمس من الأبيات توظيف معجزة داود عليه السلام، وهي إلانة الحديد بين يديه والتي وظفها الشاعر كمثال بينها وبين العلم والمعرفة، وهذا لاستبيان قيمة عيد العلم.

2- الشخصيات المنبوذة:

1. فرعون: يذكر الشاعر في قصيدة "واها لمصر" هذه الشخصيّة فيقول:

فويل لمصر إذا فرعون عز بها * وأغرق الموج موسى فهو أشقاها²

¹ نبضات لا شعورية واعية، ص33.

² مآذن الشوق، ص05.

• هنا استلهم شخصية فرعون المنبوذة المعروفة على مر الزمان، ففرعون طاغية كفر بالله ونبيه وحاول إيذاء سيدنا موسى عليه السلام، فهي شخصيّة ذات مدلول ديني سلبي، فحلت عليه اللعنة لتمرده على إرادة الله عز وجل.

2. **الشیطان**: يذكر الشاعر في قصيدته " نشيد الوجدانيّة هذه الشخصيّة المنبوذة اللعينة فيقول:

سفيهمك لا يعمل وعلمكم غثاه

إيمانكم دخيل منافق لله

شيطانكم رجيم ووجهكم محاه

الله يبتليكم بمدكم بالباه

طغيانكم محدود نهاية منتهاه

وبيعكم ظلاله وربكم خسراه¹

- نجد توظيف الشاعر لشخصية الشيطان المنبوذة دليل على الروح الشريرة التي تطلق على كل قوة ذميمة للإنسان، كما ربط الشاعر شخصيّة الشيطان بالرجيم وهذا ما ورد في قوله تعالى في سورة النحل ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾² وأما الشيطان: فهو الكافر الجني أو الإنسي المحارب للإسلام مشتق من شطن؛ أي: بعد، وقيل: الشياطين والمقصود في هذا السياق شيطان الجن.

¹ أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة ص: 46-47

² سورة النحل، الآية 98.

والرجيم: وصف له، وهو مفعول في معناه على وزن فعيل، قيل: سُمي بالرجيم لأنه أتى إبراهيم عليه السلام وهاجر وإسماعيل في منى، فاستعطف إبراهيم حتى لا يذبح ولده، فقال: أعوذ بالله منك فرجمه، ثم استعطف هاجر على ولدها فقالت: أعوذ بالله منك فرجمته، ثم استعطف إسماعيل عليه السلام على نفسه فقال: أعوذ بالله منك فرجمه، فصار الرجم من مناسك الحج إلى يوم القيامة.¹

وقيل سُمي بالرجيم لأنه يسترق السمع في السماء فترجمه الملائكة²، قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾³، وقيل: وصف بذلك لأن أتباعه يرمونه في النار.

3. اليهود: وظفها الشاعر في قصيدته "ولد الهدى" بقوله:

ما أنصفوك وقد رموك بجهلهم ولجهلهم سخائم الخصماء

رفعوا لك الألواح عند يهودهم والعلم عند يهودهم غلباء

ماذا ترون يهودكم بمحمد رفع الأكفة مصبحين هباء⁴

يتضح من خلال الأبيات عدم انصاف الرسول صلى الله عليه وسلم من طرف اليهود وكثير خصماؤه، لجهلهم بحقيقة رسالته رغم أن يهودهم يعلمون بصدق رسالته.

4. الكفار: من الشخصيات المنبوذة الكفار، ولقد وردت في قول الشاعر الطاهر أحمد طالبي:

هذه الدفاتر حرقه والحرف فيها مغامر

¹ بتصرف.

² بتصرف.

³ سورة الحجر، الآية 18.

⁴ الطاهر أحمد طالبي، نبضات لا شعورية متعالية للبراءة والطفولة، توزيع والطبع، دار إفريقيا لنشر والتوزيع، مارس 2001 ص55.

فأحرق كل مخافر وأقطع وصالك بالمكافر

وأقطع سقيماً للرؤى حلس المقابر والمنابر¹

نجد الشاعر في هذه الأبيات ينحو باللوم والثبور ويتوعد الاستعمار الفرنسي بعضائم الأمور من جراء كتمه للحريات الفردية والعامة ضدّ الشعوب المستعمرة والمغلوب على أمرها.

3- الأماكن الدينية:

(1) المدينة المنورة: من الأماكن الدينية المقدّسة نجد المدينة المنورة ولقد وردت في قول

الشاعر:

زهراء أنت مدينة أم يثربا؟ أم جنة الفردوس قد ضمت النجباء

بمحمد تدعى مدينة طيبة أم بالمدينة ما دعيت سواء؟

يارب بلغ بالمدينة بالرضى بالغوطين ضميمة أحشاء

علياء أنت يا وجيهة أرضنا فما استقلت أو إحتويت غناء

يا رب عفوك إنني متوسل بالمصطفى حبيبك الأواه والبكاء

قد شدني ركب الحجيج إليكم وأنا الفقير وهمتي قعساء

فما ذكرتك والدموع هواطل والقلب من شدّ الوجيب عناء

يا رب بلغ عني سلامهم صلوات ربي للنبي هناء²

¹ نفس المرجع السابق، ص 63.

² أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص 40.

نستنتج من هذه الأبيات أنّ الشاعر يتغنّى بالمدينة المنورة ويُعبّر عن شدّة شوقه لها ولرؤيتها، وهذا دليل على تمسكه الوطيد بالدين الإسلامي الحنيف.

(2) الكعبة: ولقد وظّف شعراءنا الأماكن المقدّسة ومن بينها الكعبة والتي وردت في قوله الشاعر طاهر أحمد طالبي حيث يقول:

جمالك يحكى السنا فيستبيح ما ملك

بروضة ملائكنا فيستعيد ما سلك

يا كعبة الله التي حويتها بعفتك

يا قبلة أزجي لها سحائباً من رحمتك

علمني قصودها لواعجا من حضرتك

حذار من صدودها صدودها هو الهلك¹

• الكعبة المشرفة هي قبلة المسلمين في صلواتهم، وحولها يطفون أثناء أداء فريضة الحج، كما أنّها أول بيت يوضع في الأرض وفق المعتقد الإسلامي، ولا يمكن ذكر المسجد الحرام دون ذكر الكعبة.

(3) مكة: ونجد أيضاً من الأماكن المقدّسة مكة المكرمة التي وردت قول الشاعر بو بكر مراد:

فهذه مكة

من حولها تجمعت حراب

¹ أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة ص 40.

فأدركوها

فلا هم حمزة ولا هم زياد

بينهم نسب

يا عجب...

تسامت الأصلاب...¹

• في مكة يتجمع الناس من شتى بقاع الأرض بمختلف الجنسيات والأعراق يأتون لزيارة الكعبة المشرفة، فهي خير بقاع الأرض وأطهرها.

4) القدس: اهتم شعراءنا المعاصرون بالقضية الفلسطينية وحازت كمًا هائلًا في أشعارهم ومن بينهم الشاعر سعد مردّف في قصيدته بنت الإسلام التي يقول فيها:

بنت الإسلام لقد نكست رايات النصر، ألا ثوري...

ودعي الأحلام ولدّتها في عصر يكفر بالنور

على يحلم مثلك بالدنيا والقدس كطير مأسور

والأقصى وليل داج، حيران كطفل مقهور

وابن الصهيون به يلهو طربا كالكلب المسعور

يالهفة نفسي، يا نفسي كم يأسى قلبُ الموتور²

¹ أوراق الهزيمة، ص118.

² سعد مردّف، يوميات قلب، طبع بمكتبة، دركي الوادي، الطبعة الأولى، 2005م، ص53.

• القدس: هي ثالث أقدس الأماكن عند المسلمين بعد مكة والمدينة المنورة، وكانت تمثل قبلة صلاة المسلمين طيلة ما يقارب من سنة، قبل أن تتحول القبلة إلى الكعبة في مكة. ومن خلال الأبيات يتّضح لنا احتراق قلب شاعرنا على القدس المحتلة من طرف الصهيونيين وحزنه الشديد على طول مدّة الاحتلال وعدم نيل القدس حريتها واستقلالها.

(5 الجنة): من أعظم الأماكن المقدّسة هي الجنّة وهي مكان يفوز به المؤمنون في الآخرة وذلك لحسن أعمالهم في الدنيا ولقد وردت كلمة الجنة على عدّة أسماء منها: جنة الفردوس، جنة الخلود، جنة عدن، حيث يقول الشاعر الطاهر أحمد طالبي:

فلتغرفن من الطهارة نسبة

يعلو لها كل الوجود عواني

ودخول جنتك المؤجل متعة

والأم من خلف الستار تهاني

وصحابة مرضية، والعترة أبأونا

جدوا، بجد والشهادة أمانى¹

• الجنة هي دار الخلود، ونعيمها دائم، لا يعتري سكانها نصب أو هم أو حزن، ويتمتعون بما أحلّ الله تعالى لهم بفضله وكرمه، وفيها من النعيم المقيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

¹ أشرق نور الصباح، ص80.

خطر على قلب بشر. فالجنة هي مطلب وغاية لكل مؤمن وموحد بالله، فيعبد الله حسن عبادته حتى ينال رضاه والجنة.

ثالثاً: توظيف الأذكار الدينية

وظّف شعراءنا المعاصرون عدّة أذكار دينيّة يتقرّب بها العبد نحو ربّه ومن بينها نجد:

1- الدعاء: لقد ورد الدعاء في شعرهم بكثرة وذلك دليل على تقربهم وإيمانهم القوي بالله ومن بين الشعراء الذين وظّفوه نجد: سعد مردف في قصيدة تضرع التي يقول فيها:

يا إلهي كن معيني واشف صدري باليقين

واملأني روعي صفاء واهد دربي كلّ حين

وارفع الأحزان عني وعن القلب الحزين

طال ليلي يا إلهي وبه زادت شجوني¹

- في هذه الأبيات نجد شاعرنا له علاقة وطيدة بينه وبين الله فهو يناجيه ويتقرب إليه بالدعاء.
- ونجد الشاعر الطاهر أحمد طالبي قد وظّف في قصيدته "هاجس الشعر ترفق" التي يقول فيها:

يا رب لا تحرمني

والحور يا رب حقق

¹ يوميات قلب، ص 42.

تبارك اسم رب

فدو الجلال يوفق

يا رب سترك ذخري

يا رب سترك أشرق

يا رب أيقظ فؤادي

يا رب قولك منطق

يا رب جنة عدن

أسقني منها وأنفق¹

نلمس من خلال الأبيات أنّ الشاعر يناجي الله بكلّ خشوع وذلك من خلال تكرار النداء "يا رب" لنيل مرضاته ودخول جنته، ولحسن الجزاء واحساب.

2- الاستغفار: ولقد وظّف شعراؤنا المعاصرون الاستغفار ونجد الشاعر سعد مردف في قصيدة

"إيمان عفوا" التي يقول فيها:

¹ أشرق نور الصباح، ص 67-68.

أو يستحث لي الأجال ، تأخذني كي لا أجرع من تلك الغصاصات

استغفر الله، من غم يززعني ومن جنونٍ، تراءى في جراحاتي

ما تبصر العين من لأواء موطننا لا غرو، إن أظلمت منه صباحاتي¹

يتضح لنا من عنوان القصيدة "إيمان عفوا" أن مناسبة كتابتها لطفلة فلسطينية "إيمان حجوا"، التي نالها الرصاص الغدر الصهيوني وهي لم تتجاوز أربعة أشهر وأن الشاعر يعم عليه الحزن ويستغفر ربه منه.

• ولقد وظفه الشاعر الطاهر طالبي في قصيدته روعي وذاتي التي يقول فيها:

لا يرتضي مني المهين هفوة

فإذا هفوت فقد لجأت إليه

فمسحتها مستغفرا متبتلا

يا راحتي عند الوصول إليه²

يتبين لنا من خلال الأبيات أنّ الهفوات والزلات والخطايا التي يرتكبها المؤمن تمحى بالاستغفار.

¹ يوميات قلب، ص 69.

² أشرق نور الصباح، ص 20.

3- التسبيح والتكبير والحمد والشكر والثناء لله:

نجد من التراث الديني التسبيح والتكبير الذي وظفوه شعرائنا المعاصرين في شعرهم حيث أنهم كانوا يسبحون ويحمدون ويكبرون الله ويثنون عليه بتم فضله عليهم.

أ- **التكبير:** ونجده في شعر الشاعر سعد مردف حيث كتب قصيدة كاملة بعنوان "الله أكبر" التي يقول فيها:

والله أكبر حاميتها، ورافعها الله أكبر من تعنو له الكبير

الله أكبر علت من مآذننا الله أكبر من أفواه من أسروا

الله أكبر من أطفالنا عبرت تستتطق الفجر أسحار وتنمهر

الله أكبر ثكلى وموجعة الله أكبر من شيخ به ضرر¹

تتضح لنا من خلال الأبيات أنّ لشاعر علاقة وطيدة بينه وبين الله وذلك من خلال

تكرار التكبير "الله أكبر"، حيث نراه يكبر الله في كلّ موضع.

• ووظفه الشاعر أيضًا الطاهر أحمد طالبي في قصيدته "ألفيت نورك في الدنا" يقول فيها:

وأناطح الجوزاء كيما أستتر فحقيقتي من نورك المتهادي

ووسيلتي في عفتي أشدو بها وقميص سربي شكلت بعثادي

الله أكبر ما أشد جمالك قد عمني فازددت فيك سعادة

¹ سعد مردف، مواكب البوح، طبع بمطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2017، ص 73-74.

الله أكبر ما أشدّ ضياؤك قد ضمنني فازددت فيك عباده

يا حبذا نشر السماحة والندى وهواتف الإنشاد في مدادي

وواصلتاه إلى رحاب قدسه فأمدد إلى بنورك الوقادي¹

والقصيدة التي بين أيدينا هي روح ينبعث من جديد من وراء الغيوب ينادي بسبق الروح على المادة وسبق الدين عن الدنيا وسبق القيم الأخلاقية على القيمة الحسية...فالباطن أهم من مظاهر بكثير قياساً وامتثالاً.

ب- التسبيح: ولقد وظفه الشاعر الطاهر أحمد طالبي في قصيدته "إلى الزهراء أنتسب" التي يقول فيها:

عم الورى الدنا جهل ومنقصة واسودت النفس أنّ النفس شيطان

فأرفع حجاب الكرى ذكرا وموعظة وسبح الله فالتسبيح برهان

وأسأل لعلّ الإله يستجيب لنا وأنعم ففي قربه ستر ورضوان²

التربية الروحية هي رحلة إيمانية في كنف الله وقد عرف الإنسان منذ البدء تجربتين؛ تجربة الإيمان والتوحيد وما ينجزّ عنه من خير وسعادة، فطلب واستزاد من ذلك.

¹ أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص 61-62.

² نبضات لا شعورية واعية، ص 35.

عرف تجربة الكفر والنكران التعدد وما ينجز عنه من شر وشقاء، فاستعاذ من ذلك والشاعر بطبيعة الحال من خلال إحساسه المرهف وتجربته الإيمانيّة الصادقة حاول أن يسجل انطباعه الإيماني العميق بالله وبالإسلام و برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

• ونجد أيضًا قد وظفه في قصيدته يا طائر ما أجملك" التي يقول فيها:

يا طائر ما أجملك سبحان من قد صورتك

يا طائر ما أحلمك سبحان من قد علمك

يا طائر أسلوتتي وأريتنني ما أعجبك

يا طائر قد شدني شوق إلى من أرسلك¹

والشاعر في أنشودته هذه يحاول من خلال تمثله الحقيقي للروح الإنسانيّة المتعطشة لمزيد من العلم والنور الإلهي أن تطلب المزيد من تلك الأنوار والأسرار والأعمال الصالحة والرحمة الشاملة حبا وشوقًا هيأها وعشقا في الله.

ج- التحميد والشكر والثناء على الله عز وجل:

- وظفه الشاعر الطاهر أحمد طالبي في قصيدته "النشيد الفاتح" التي يقول فيها:

رباه يا رباه الحمد في آخره

الحمد في أولاه رحماك يا رباه

¹ أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص 37.

الحمد بالإله والشكر بالإله

أنعم بالله وأشكر بها الله

النور من هداه والعز بالإله

والفضل بالإله يا طالبا رضاه

يا ممسكا ببقاه يا باسطا ليداه

يا طالبا لسماه يا عاشقا لهواه

يا ويل من عصاه يا حزن من أساه

يا نعم من ناداه يا بشرى من سماه

يا نعم من أسداه يا فيض من والاه

يا خير ما اصطفاه بعلمنا الله

الله ثم الله ثم الله¹

وعلى الجملة فإننا في هذا النشيد الفاتح نلمس الفواتح لكلّ بداية برئة و نعتزل كلّ نهاية سيئة، و نلتمس الترميم والترقيع والاستقامة من كلّ اعوجاج لكلّ نهاية أو وسط أو بداية عند من فسدت عندهم البراءة والطهارة والطفولة وتحولت تلك المعالم إلى قذارة وفساد.

• ولقد وظف الشكر أيضًا في قصيدته "روحي وذاتي" في الأبيات التالية:

لا أثنى عنك بطول جنايتي

وأنا العبيد، والرحيل إليه

ولقد نكرتك إذ خلوت بشرك

فالذاكر المذكور أنت إليه

يا سره المحبوب عندي سليقة

فحقيقتي أنّ الرجوع إليه²

¹ نفس المرجع السابق، ص 42.

² أشرف أنور الصباح، ص 18.

• يتبين من خلال الأبيات أنّ لشاعر علاقة حميمة بينه وبين الله عز وجل فهو هنا في هذه الأبيات يتوجه إليه بالشكر والحمد ويذكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى وبين فضل الله على عباده ورحمته التي وسعت كلّ شيء كما بين الشاعر أنّ لا مفرّ ولا مهرب لغير الله، فالرحيل إليه والرجوع إليه وحده لا شريك له.

4- **القسم:** لقد لجأ شعراءنا المعاصرون إلى توظيف القسم بالله الواحد الأحد الذي ل شريك له، ومن أشكال هذا القسم نجدهم يوظفونه على ثلاثة أشكال وهي: "والله" - "بالله" - "تالله"، يقول الشاعر سعد مردف في قصيدته "الشباب والعزوبية":

إن العزوبية للشباب مسوقة هم لم يشاؤوها ولا هم شاءوا

فهم براء، من جريرة غيرهم والله يشهد إنهم براء

حاشا الشباب من العزوف ولودرى أهل الملامة نالهم إغضاء¹

• استخدم الشاعر القسم حينما قال: "والله يشهد إنهم براء" ففي هذه القصيدة نجد الشاعر حزين على حال شبابنا اليوم الذي أصبح عليه أمر الزواج ليس بالأمر الهين وهو ساخط على حال الأمة التي أصبحت تغلي المهور على الشباب فهو يوجه له رثاء من القلب الشفيق.

ولقد وظّف شاعرنا الطاهر أحمد طالبي "القسم" أيضاً بقوله في قصيدة "عوجا إلى

الوادي":

فوا نفسي وبلواها فوا سمعي لحسادي

فوا روحي وفحواها فوا كبدي وأكبادي

¹ يوميات قلب، ص 20.

فسوف أنت والله نزيل الخير والضادي

فسوف لست أقلاها بها زادي وزوادي¹

- يقسم الشاعر في هذه الأبيات بأن مدينة الوادي هي منطقة الخير والجود والكرم وأن أرضها أرض زراعة تنتج فيها الخيرات والوفيرة وناسها أهل للضيافة.

يقول في قصيدة "وقفة على رمال سوف":

شاء الإله وشاءت الأقدار أن يستعاد لأرضنا الإظهار

تالله كلا والرمال شواهد ترنو لها الأنظار والأبصار

من مسحها يتبرك الناسوت وبأرضها يأتي لها الزوار

من كل صقع مد في عرصاتها يستقرأ منها عبر اللآري²

- الطبيعة الخلابة لسوف، تجعل الشاعر ينظم وينسج شعراً، فهي بكتبانها بعباداتها، بتقاليدها بمظاهرها الاجتماعية المختلفة، ما ظهر منها وما بطن، بغروب شمسها عند الأصيل بقباها المتميزة بسلوك أهلها الطيبين، وبسماتهم العربية الأصيلة.

نظر الشاعر إلى هذه الطبيعة السوفية الساحرة بعين الحالم وبقلب المحب لهذه النفوس

المطمئنة الوادعة المليئة بروح البراءة والطهر فسيح الله شعرا وقسم بالله في وصف هذه الطبيعة

السوفية الرائعة وخرج من هذا التسبيح بقصيدة يصف فيها سوف.

¹ نبضات لا شعورية واعية، ص 26.

² نفس المرجع السابق، ص 08.

ولقد وردّ القسم ب "تالله" في قصيدة "فتوى القعود" يقول الشاعر سعد مردف في هذه

القصيدة:

وجعلتم التفريق بين صفوفنا شرعاً لنا يقضي به الإفتاء

والوحدة الكبرى بزعمكم هوى وضلالة يدعو لها الجهلاء

بالله، أي شريعة علوية ينتموها أيضاً البلغاء¹؟

• حين اجتاحت الصهاينة لبنان، صائفة 2006 تصدّ حزب الله لفلول المحتلين، حينها، وبعد صمت مطبق من طرف صنّاع القرار في العالم العربي، والإسلامي صدرت فتوى لقلّة من العلماء تقضي بعدم جواز نصرت المجاهدين في الجنوب اللبناني، وكذا عدم شرعية الدعاء لهم كونهم من مذهب الشيعة بغض النظر عن الحال ومقتضاه.

5- أركان الإسلام: نلمس من خلال دواوين شعراءنا المعاصرين أنها تعج وتتوهج بالتراث الإسلامي، فمعظم قصائدهم نجدها تحوي أركان الإسلام من: صوم وصلاة وحج... وغيرها فهذا إن دل على شيء إنما يدلُّ على تمسكهم بالدين الإسلامي الحنيف والعقيدة الإسلامية.

1) الصلاة: فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي عمود الدين حيث فرضها الله على عباده وهي أول ما يحاسب عليه العبد أمام ربه وهي فريضة على كلّ مسلم ومسلمة وتؤدى 5 صلوات في اليوم: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾²

يقول الشاعر الطاهر أحمد طلبي في قصيدته "وصوتك يا جزائر":

¹ سعد مردف، حمامة وقيد، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، ص 23-24.

² سورة النساء، الآية 103.

حريق النار لهب كفانا فقد شب الوليد لهم غضابا

أمر على المساجد ما لعيني ترى نوما عميقًا مستطابًا

وبالتاريخ عبرتنا نسيًّا فلا رأي الأريب لهم صوابا¹

• في هذه الأبيات يسخط الشاعر عن حال الأمة الإسلامية التي تتكاسل على تأدية الصلاة في المسجد وفي وقتها ووقت صلاة الفجر يستبدلونه بالنوم العميق المستطاب ولا يلبون نداء المؤذن حينما يقول الصلاة خير من النوم.

ويقول في قصيدة "نداء الأغنياء":

نعم، ما أنعم قد براني رُبي مؤمنا من كل نكزا

فسليني أم سلمى أنت طيف قد يهيم الطيف نبرا فنبرا

فغدا أعد وإليك رافعا صوتي جهرا فجهرًا

أم سلمى ما دعاني غير هذا سجد ربي أمرا فأمرًا²

• وظّف الشاعر ركن الصلاة من خلال ذكره لكلمة السجود، فالسجود ركن من أركان الصلاة لذلك نجد شاعرنا يتغنّى بهذا الركن الذي يُعبّر عن الخضوع والخشوع لله تعالى.

يقول أيضًا في قصيدة "ماذا كنت؟ كيف كنت؟":

كنت نحسًا أبديًا كنت قفلا سر مدنيًا

¹ نبضات لا شعورية واعية، ص 25.

² نفس المرجع السابق، ص 49.

كنت نحسًا في صلاتي كنت شرًا عربيًا

كنت في لحن الأمومة عقاب لولبيا¹

• أحيانًا تنتاب الشاعر حالات وجدانية ووجودية تبعت إلى التشاؤم من هذا الوجود وما فيه من تقلبات الأيام والناس والعقول والقلوب والنفوس فأصابه من ذلك غثيان وجودي فهو يتحسر على نفسه ويتحسر على عدم تأدية صلاته بأداء وخشوع.

. ويقول أيضًا في قصيدة " نفديك يا عزيز الوئام الوطني":

قلوبنا ترتاح وحبنا انشراح

وفكرنا صراح حي على الفلاح

حي عل الصلاة صلاحنا انفتاح

وخوضنا نجاح وريحنا سماح²

• نستنتج من خلال هذه الأبيات أن شاعرنا يتغنّى بالأذان والصلاة وأن قلبه وفكره يرتاح وينشرح عندما يلبي نداء الله حي على الفلاح حي على الصلاة فهو بتلبيته هذا النداء يفوز وينال الربح في الدنيا والآخرة.

(2) الصوم: الصوم هو الركن الرابع من أركان الإسلام ولقد فرضه الله على عباده وهو التعبد لله سبحانه وتعالى، بالإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

¹ نبضات لا شعورية واعية، ص31.

² أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص33.

ولقد وظفه الشاعر سعد مردف بقوله:

من طوى صفحة الأيام داعية لله محتسبًا فيما يلاقه

شهادة المسجد المعمور تتبعه نفح العبير، وشهر الصوم يعليه¹

- ووظف الصوم أيضًا الشاعر الطاهر أحمد طالبي بقوله في قصيدة "مناجاة قلب عاشق":

اتركيني للأمالي ما لروحي مشترك

اتركيني واعتصمي جبلي لا ينفرك

ليلي يطول

عيني تجول

روحي تقول

اتركيني وصيامي حضرتي ما حضرتك

اتركيني واعتكافي عدتي ما عدتك²

- استطاع الشاعر بفضل الله أن ينتصر على الحب المادي، وينتقل به إلى حب نفسي ثم إلى حب روعي ثم يندفع به كالصاروخ إلى حب معنوي ثم حب إلهي وثاب، وهناك وفي رحاب الحب الإلهي وجد أن كل أنواع الحب التي دونه منطوية فيه، ولا قيمة لما دونها من المحبوبات ما لم تكن متوجة بالحب الإلهي ظاهرًا وباطنًا.

¹ مآذن الشوق، ص 59.

² أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص 15.

• هنا نجد الشاعر يبين لنا ارتباطه الوثيق وتشبثه بدينه الحنيف بتوظيفه " الشهر الصوم " لاعتباره ركن من أركان الإسلام وتقديسه لشعائر الدين.

(3) الحج: وهو الركن الخامس من أركان الإسلام وهو حج المسلمين إلى مدينة مكة في موسم محدد من كل عام، وله شعائر معينة تسمى مناسك الحج، وهو واجب لمرة واحدة في العمر لكل بالغ قادر من المسلمين ولقد تغنى شعراءنا بهذا الركن في أشعارهم.

يقول الشاعر الطاهر أحمد طالبي في قصيدته " ولد الهدى ":

يا رب عفوك إني متوسل بالمصطفى حبيبك الأواه والبكاء

قد شدني ركب الحجيج إليكم وأنا الفقير وهممتي قعساء

فبما ذكرتك والدموع هواطل والقلب من شد الوجيب عناء¹

• شوق الشاعر إلى زيارة بيت الله، ويشده الحنين عندما يرى ركب الحجيج وهو ليس بحاج رغم شدة شوقه للحج.

ويقول أيضًا في قصيدة "مناجاة قلب عاشق":

أتركني وطوافي رقصتي ما رقصتك

أترك لي جمراتي جمري ما جمرتك

ليلي يطول

عيني تجول

¹ نبضات لا شعورية واعية، ص56.

روحي تقول¹

- يذكر الشاعر في هذه الأبيات بعض أركان الحج منها الطواف ورمي الجمرات، عندما يقول "أتركني وطوافي - أترك لي جمراتي"، فالطواف هو أحد الأركان الأساسية في الحج والعمرة، وهو عبارة عن سبعة أشواط يقوم به الحاج أو المعتمر حول الكعبة.
- ورمي الجمرات يقصد به أن يرمي الحجاج الجمرات، على مدار أيام التشريق الثلاثة، بدءًا من الجمرة الصغرى فالوسطى ومن ثم الكبرى، ويأخذ الحاج الجمرات من منى أو المزدلفة وهي مجموعة من الحصى صغيرة الحجم.
- ولقد وظف الحج أيضًا الشاعر ميداني بن عمر في قصيدة "جسد على مبنى" التي يقول فيها:

المهجر في رؤاك

هل حج فيك من استطاع²

- فعبارة "هل حج فيك من استطاع" تحمل دلالة تراثية دينية يُقصد بها الشاعر ركن الحج.

ومن الكلمات الدالة على الحج "يوم عرفات" التي وظفها الشاعر الطاهر أحمد طالبي

في قصيدة "أنا حبي قد دعاني" التي يقول فيها:

هو حبي بروحي وصروقي وصروقي صنو روعي وعلاك

هو حبي لا تراه وسواه غيره منه عليك باشتراك

¹ أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص15.

² ميداني بن عمر، سماء لوجهي، دار النشر، منشورات آر تيستيك، ش، م، م، دار الأخبار للصحافة، القبّة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م. ص33.

ورقي كلّ يوم عرفات سره فيما أتاني هو ذاك

سره بسط وقبض وولاء وحببي سره فيما أراك¹

• هذه القصيدة هي تجليات روحية في طلب المزيد من مدد الحب الإلهي إلى محبوبه، فالله جلّ جلاله، وتنزه كماله، وعظم فضله وتمت أفضاله على كل عبد خصه بذرة من حبه وعشقه، ولقد ذكر الشاعر يوم عرفات وهو يوم التاسع من شهر ذي الحجة، الشهر الثاني عشر والأخير في التقويم الإسلامي، يحدث في اليوم الثاني من الحج إلى مكة المكرمة.

رابعًا: توظيف الكتب السماوية المقدسة.

كتب أنزلها الله على أقوام سابقة على أيدي كرام طهرة، رسل حملوا الرسالة وبلغوها رغم ما لقوه من صعوبات وعناد وهذه الكتب أربعة هي:

الإنجيل: والإنجيل كلمة يونانية معناها البشارة والأنجيل مجموعة أعمال المسيح وأقواله وصلت إلينا بأربعة روايات وضعها "متى" و"يوحنا" وهما من الرسل، و"لوقا" و"مرقس" وهما من تلاميذ المسيح. سُميت بالإنجيل لأنها أتت للأنام ببشرى الخلاص على يد المسيح.

وظفها الشاعر أبو بكر مراد في قصيدته " الصليب والأسلاب" يقول فيها:

ملة الكفر

تجدد الميعاد

فتورات وإنجيل

¹ أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، ص 50.

وخفه أوغاد

ترهف الأوطان لقما

تنهشها الكلاب

فإذا البيع مزاد¹

- يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن أعداء الإسلام والوطن الذين ينهشون الوطن بمكايدهم كما تنهش الكلاب فريستها والبيع في المزاد دلالة على أنّ الكل يريد أن يدفع مقابل الظفر بوطن عربي يستغله مالياً.

الزبور: وهو بمعن مكتوب من زبر الكتاب يزره إذا كتبه نزل على سيدنا داوود عليه السلام، وظفه الشاعر سعد مردف في قصيدته "شعور" التي يقول فيها:

ياليل انطقت الشعور شعوري وأثرت أوزاني وهجن بحوري

ومنحني المعنى فجاء كأنه وحي تنزل من بلاد الحور

أنا شاعر أهوى الصلاة وربما أفنيت عمري تاليا لزبوري

لكنني باليل مذ بدت التي أهوى هوا ما عدت كالخمور²

- ويتضح لنا أنّ الشاعر يحب الصلاة ومن كثرة حبه لها كاد قد يفني عمره تاليا الزبور أي قراءته...وهذا دليل على العلاقة الوطيدة بينه وبين الله.

¹ أوراق الهزيمة، ص117.

² يوميات قلب، ص118.

الفرقان: القرآن هو كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹

ويسمى أيضاً الفرقان والذكر والتنزيل وهو آخر الكتب السماوية أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونجدها في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾²، بمعنى لقد منحناك سبع آيات من التي تنثى عليها وآتيناك القرآن العظيم وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾³ وفي قوله: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾⁴، ولقد وظف الشاعر سعد مردف في قصيدته "لغة الضاد" التي يقول فيها:

لغتي سلمت وصانك الرحمان كالشمس أنت ونورك القرآنُ

يا بنت عدنان التي بجمالها نال الكرامة والعلا عدنان

هل أنت إلا نفحة علوية سبحت على أمواجها الأزمان

لو لم تكوني شامة بين اللغى ما كان ضوع حرفك الفرقان

أو ما رفعت منارة من هديها قبس الهنود وقلد الرومان⁵

¹ سورة يوف، الآية 02.

² سورة الحجر، الآية 87.

³ سورة القيامة، الآية 17.

⁴ سورة الإسراء، الآية 78.

⁵ يوميات قلب، ص 7-8.

- يتضح لنا من هذه الأبيات أنّ الشاعر سعد مردف يمدح اللغة العربية ويتغنى بها حيث أنّ الله العربية هي لغة القرآن الكريم.



خاتمة

من أهم النتائج المتوصل إليها في ختام هذا البحث ما يلي:

- ❖ لقد أدرك الشاعر الجزائري أهمية القرآن الكريم فنيًا وفكريًا، مستخرجًا بذلك طاقته الكامنة لاستغلالها في حمل أبعاد تجربته الشعرية المعاصرة.
- ❖ لقد كان التراث الديني مصدرًا سخيًا من مصادر الثقافة والقيم الإنسانية والإلهام الشعري، قد استمر من الشعراء السوفييين المعاصرين نماذج وموضوعات وصور أدبية فالمتن التي محورها عبادات إسلامية مقدسة أو أذكار دينية.
- ❖ لقد أصبح الشاعر السوفي المعاصر يفسح المجال في قصائده لتوظيف التراث الديني الذي يتجاوز معه والتي مرت ذات يوم بنفس التجربة والمعاناة التي عاشها هو.
- ❖ استخدم شعراؤنا المعاصرون الشخصيات التراثية الدينية في شعرهم ليستطيعوا أن يغيروا الظروف التي كانوا يحيونها، إلى جانب ما يحققه هذا الاستخدام من غنى فني، بواسطة استدعائهم لشخصيات تراثية دينية ومعطياتها.
- ❖ ومن الأسباب الأخرى التي جعلت الشعراء الجزائريين يتجهون إلى استخدام التراث والشخصيات التراثية الدينية، هو أن يتمكنوا من أن يصوّروا خلجات حاجاتهم النفسية وآلامهم وهمومهم من خلال هذه الشخصيات التراثية الدينية. فالشعراء المعاصرون يرجعون إلى التراث الديني، ويعاودون الرجوع على أمل أن يستطيعوا أن يعبروا عن أصدق تمثيل لهمومهم الخاصة، وربما أكثر تهدئة لها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً- المصادر:

1. أبو بكر مراد، أوراق الهزيمة، طبع بمطبعة دار الشهاب، ص.ب رقم 61، المنطقة الصناعية، شيدة، باتنة.
2. أبو بكر مراد، أوراق لا تتحني، تحت الطبع سوف مونغرافيا، ترجمة.
3. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2001م.
4. أحمد سحنون، الديوان، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م.
5. أحمد عبد المعطي حجازي، الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982م.
6. أدونيس، زمن الشعر، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط6، 2005م.
7. بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، وزارة الأعلام العراقية، بغداد، العراق، ط1، 1971م.
8. جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ط1، 1987م - 1407هـ.
9. سعد مردف، مآذن الشوق، طبع بمكتبة مزوار، الطبعة الأولى، 2017م.
10. سعد مردف، مواكب البوح، طبع بمطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2017م.
11. سعد مردف، يوميات قلب، طبعة بمكتبة، دركي الوادي، الطبعة الأولى، 2005م.
12. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماته الفنية وطاقته الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1984م.

13. سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجًا)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010م.
14. الطاهر أحمد طالبي، أشرف نور الصباح، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2015م.
15. الطاهر أحمد طالبي، أشواق علوية متعالية للبراءة والطفولة، دار أفريقيا للنشر والتوزيع، طبع بمطبعة دركي الوادي، مارس، 2001م.
16. الطاهر أحمد طالبي، نبضات لا شعورية واعية، الطبعة الأولى، أوت، 1997م، الوادي، الجزائر.
17. عائشة عبد الرحمان، تراثنا بين الماضي والحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، مصر، (د.ط.)، 1968م.
18. عباس بن يحيى، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ط.)، (د.ت.).
19. عبد الجبار القحطاني، جدل التراث والعصر، دار الفكر المعاصر، سوريا، لبنان، (د.ط.)، 2001م.
20. عثمان لوصيف، الإرهاصات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م.
21. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط5، 1994م.
22. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية (في الشعر العربي المعاصر)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط.)، 1997م.
23. محمد عابد الجباري، التراث والحداثة، (دراسات ومناقشات)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.
24. محمد عبد المنعم خفاجي، من تراثنا الخالد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

25. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، (د.ط.)، 1977م.
26. محي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياني، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط.)، 1986م.
27. مدحت الجيار، الشاعر والتراث (دراسة في علاقة الشاعر بالتراث)، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، مصر، الإسكندرية، (د.ط.)، (د.ت.).
28. مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
29. مصطفى محمد صوالح، فوق كل اللغات، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2011م.
30. ميداني بن عمر، سماء لوجهي، دار النشر، منشورات أرتيستيك، ش.م.م دار الأخبار للصحافة، القبة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م.
31. نزار قباني، أشعار خارجة عن القانون، دار العودة، بيروت، لبنان، ط2، 1972م.
32. يوسف بديدة، ما لذ وخاب، مطبعة مزوار، الطبعة الأولى، 2015م.

ثانياً - المراجع:

- عائشة عبد الرحمان، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، مصر، (د.ط.)، 1970م.
- عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دراسة الناشر واتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط.)، 1992م.
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث مصادره الأولى تطوره فلسفاته الجمالية ومذاهبه، دار مطابع الشعب، ط3، القاهرة، مصر، 1964م.
- محمود الربيعي، في نقد الشعر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1968م.

ثالثاً - المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 2، دار الصادر، بيروت، لبنان، ط2، 1992م.
- أبو محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح: إبراهيم الأبياري، ج15، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1967م.
- حبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- خليل الجر، المعجم العربي الحديث «لاروس»، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1988م.
- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج2، المطبعة البهية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1925م.

الفهرس

شكر وعران

إهداء

مقدمة..... أ

الفصل الأول: التراث الالني وأثره في الشعر العربي المعاصر..... 5

المبحث الأول: التراث وأثره في الشعر العربي المعاصر..... 5

المطلب الأول: تعريف التراث..... 5

المطلب الثاني: موقف الشاعر المعاصر من التراث..... 10

المطلب الثالث: علاقة الشاعر العربي المعاصر بالتراث..... 13

المطلب الرابع: عوامل عودة الشاعر العربي المعاصر إلى التراث..... 16

المبحث الثاني: توظيف التراث الالني في الشعر العربي المعاصر..... 23

المطلب الأول: شخصيات الأنبياء..... 23

المطلب الثاني: الشخصيات المقدسة..... 24

المطلب الثالث: الشخصيات المنبوذة..... 26

الفصل الثاني: توظيف التراث الالني في شعر شعراء وادي سوف المعاصرين..... 30

تمهيد:..... 30

أولاً: توظيف التراث الالني من القرآن الكريم..... 30

ثانياً: توظيف الشخصيات والأماكن الالنية المقدسة..... 34

46..... ثالثاً: توظيف الأذكار الدينيّة

62..... رابعاً: توظيف الكتب السماويّة المقدّسة.

67 خاتمة

69 قائمة المصادر والمراجع

73 الفهرس